

أوراقٌ مُبعثرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
(٢٠١٧/١١/٥٩٣١)

١١٨,٩

القضاة، عبد الحميد العبدالله  
أوراق مبعثرة / عبد الحميد العبدالله القضاة. \_\_ عمان:  
جمعية العفاف الخيرية، ٢٠١٧.  
( ) ص.

ر.أ.: (٢٠١٧ / ١١ / ٥٩٣١).

الواصفات: / النوعات الأدبية// العصر الحديث/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

# أوراق مُبَعَثَرَة

الدكتور عبد الحميد القضاة

اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال

المدير التنفيذي لمشروع وقاية الشباب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	جابرَةُ العُثْرَاتِ
١٢	الصبرُ مفتاحُ الفرجِ
١٧	النمرود
٢١	أنت في عبادةٍ
٢٣	أين أنت من هؤلاء؟
٢٨	حكايةٌ وعبرةٌ
٣٢	رؤيا حق
٣٦	سليمان القانوني المفترى عليه
٣٩	الانتقام العجيب
٥٥	صانعةُ العُظَاءِ
٥٩	على طريقةِ الجاحظِ
٦٣	عندما يموتُ الضميرُ
٦٧	فرعونُ منك تعلمتُ
٧٤	نصفُ ضمير!!
٧٨	لمثل هذا ربيتك
٨١	لا يُفتى ومالكٌ في المدينة
٨٣	كل بيتٍ حكمةٌ
٨٦	قاتل الأسود
٩٠	قوةُ الحجّةِ
٩٣	أنت ومالكٌ لأبيك

٩٧	البلدوزر
١٠٠	اتق الله.. سلاح خارق
١٠٣	الإفك القديم الجديد
١١١	الغلام القائد
١١٧	خريشات علي جدران العقل
١٢١	أين نحن من هذا؟
١٢٣	الحقيقة أكثر قسوة
١٢٧	لئلا يتمرد أولادنا
١٣٠	الورع الصادق
١٣٥	صفحات من التاريخ
١٣٩	الشهيد
١٤٥	قبل فوات الأوان
١٤٩	أسد الصحراء
١٥٧	فالتقمه الحوت...!
١٧١	الأنانية القاتلة
١٧٧	الصدق أنجى
١٨١	العالم في قلق
١٨٧	في بيتنا قبلة موقوتة
١٩١	قصر الإسكافي في الجنة
١٩٦	معروف الرصافي والأرملة المرضعة
٢٠١	ثمانون نصيحة
٢١٢	علموهم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليقُ بجلالِ وجهه وعظيم  
سُلطانه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين،  
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:  
فلهذا الكتاب مناسبةٌ، أولها أنني أصدرت شبيهاً له في السابق،  
وكنت أظنه هامشياً لن يلقي قبولا كسابقاته، إلا أنني تفاجأتُ من  
حُسن قبوله وكثرة طلبه، وخاصة من فئات مقدره في المجتمع.  
وثانيها أنني وبحكم ما أكرمني الله به من منحة  
المرض «السرطان» وطلب الأطباء مني بعد العملية الجراحية المثول  
للعلاج الكيماوي الذي أستدعى ما مجموعه خمسة أشهر تقريبا كان  
معظمها في البيت، فكان عندي من الوقت الكافي لمثل هذا العمل.  
وثالثها أن كان شهر رمضان بركاته أحد هذه الأشهر الخمسة  
المباركة، فما كنت أتردد في كتابته في السابق عجزاً خاصة ما تعلق  
بالأمور العلمية الطبية، وجدتُ نفسي مقبلاً عليه بفضل الله بهمة  
عالية.

فكان كتابٌ باللغة الإنجليزية للشباب، وآخر(خواطر  
علمية) ثم هذا الكتاب الذي بين يديك، كل موضوع فيه منفصل  
عن سابقه ولاحقه، قابل للقراءة على فترات متقطعة، بعيداً عن الملل  
وقصرِ نفسِ الشباب في القراءة والمطالعة وربما أحسن ما يُطلق عليه

”أوراق مبعثرة“.

آملاً من الله حُسن القبول، ثم أن يلقي ما لقي سابقه من طلب وتداول بين الأخوة الأحبة، علّه يكونُ صدقةً جاريةً ننتفع بها جميعاً، «يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

والحمد لله رب العالمين

الدكتور عبدالحميد القضاة  
رمضان / ١٤٣٨ هجري  
الموافق ٢٤ / ٦ / ٢٠١٧ م

## جائزة العشرات

سارة نادلة رشيقة في مطعم متواضع، تتحرك بين الزبائن بخفة، تزينها ابتسامة على محياها، مما يزيد الزبائن تعلقاً بها... دخل المطعم سيدتان وقد بدا الجوع على وجهيهما، وبعد استقرارهما على إحدى الطاولات التي تخدمها سارة، رحبت بهما وناولتهما قائمة طعام الغداء، وقبل أن يطلعا على القائمة، سألاها أن تعرض عليهما أرخص طبقين، كونهما لا يملكان ما لا كفاياً إثر عدم حصولهما على راتبها منذ عدة أشهر؛ بسبب تحديات مالية تواجهها الجهة التي يعملان لديها.

لم تفكر النادلة سارة طويلاً. فاقترحت عليهما طبقين، فوافقا بلا تردد ما دامتا هما الأرخص. جاءت سارة بالطبلين وتناولتهما السيدتان بنهم، وقبل أن تُغادرا طلبتا من النادلة سارة الفاتورة، فعادت إليهما ومعها ورقة داخل المحفظة الخاصة بالفواتير كتبت فيها ما معناه: «دفعتُ فاتورتكما من حسابي الشخصي مراعاةً لظروفكما. هذا أقل شيء أقوم به تجاهكما شكراً للطفكما. التوقيع سارة».

اللافت في الموقف أن سارة شعرت بسعادةٍ غامرةٍ لدفعها مبلغ فاتورة طعام السيدتين نظراً لظروفهما المادية الصعبة، فهي تدخرُ منذ عام تقريباً قيمة جهاز تلفاز تود أن تشتريه، وإن أي مبلغ تهدره فسيؤجل موعد اقتنائها لهذا الجهاز الحلم.

لكن أكثر ما أحزنها هو توبيخُ صديقتها لها عندما علمت بالموضوع. فقد نددت بتصرفها؛ لأنها حرمت نفسها وطفلها من مالٍ هي أحوج إليه من غيرها.

وقبل أن يتغلغل الندم إلى داخلها اثر إحتجاج رفيقة عمرها على مبادرتها؛ تلقت اتصالاً من أمها تقول لها بصوت عالٍ: «ماذا فعلتِ؟». ردت سارة بصوت خفيض ومرتعش خوفاً من صدمةٍ أخرى لا تحتلمها: «لم أفعل شيئاً. ماذا حدث؟». أجابت أمها: يشتعُل «فيسبوك» إشادةً بكِ. سيدتان وضعتا رسالتك لهما بعد أن دفعتِ الحساب عنها في صفحتيهما وتناقلها الكثيرون. فخورة بكِ.

لم تكذ تنتهي من محادثتها مع أمها حتى اتصلت بها صديقةٌ دراسةٍ تشير إلى تداول رسالتها بشكل فيروسي في جميع المنصات الاجتماعية الرقمية. وفور أن فتحت سارة حسابها في «فيسبوك»، وجدت مئات الرسائل من منتجين تلفزيونيين ومراسلين صحافيين يطلبون مقابلتها للحديث عن مبادرتها المميزة.

وفي اليوم التالي، ظهرت سارة على الهواء مباشرة في أحد أشهر البرامج التلفزيونية الأمريكية وأكثرها مشاهدةً. منحتها مقدمة البرنامج جهازاً تلفازياً حديثاً ومعه عشرة آلاف دولار. وحصلت من شركة إلكترونيات قسيمة شراء بخمسة آلاف

دولار. وانهالت عليها الهدايا حتى وصلت إلى أكثر من (١٠٠) ألف دولار تقديراً لسلوكها الإنساني العظيم.

تغيرت حياة ساره بسبب وجبتي طعام لم تكلفها أكثر من (٢٧) دولاراً؛ لكنّ زمان ومكان ومضمون هذا التصرف الإنساني الذي لا يُقدر بثمن فليس الكرم أن تعطيني ما لا تحتاج، وإنما أن تعطيني ما أنت في أشد الحاجة إليه.

أيها الإنسان العجيب، أعطِ ولو القليل مما تحتاج لمحتاج، فالأشياء الصغيرة لا تُكلف كثيراً. لكن تُسعد كثيراً وتترك أثراً كبيراً، ولم أجد كلماتٍ أبلغ ولا أعظم وأعمق من كلمات الله عز وجل حين قال في محكم التنزيل: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢).  
وقول الرسول الكريم ﷺ «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك» (رواه البخاري ومسلم).

سارة فتاةٌ ليست مسلمة، ولكنّ فطرتها السليمة قادتها لمثل هذه المبادرة الإيجابية الجميلة؛ فما بأننا نحن المسلمين الذين قصّرنا في تطبيق أوامر ربنا وأوامر رسوله الكريم في الإيجابية وعمل الخير مع من نعرف ومن لم نعرف، وصدق الشاعر حين قال:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

## الصبرُ مفتاحُ الفرجِ

الصبرُ خلقٌ عظيم، وصِفةٌ لازمةٌ لكل من يحمل همَّ الدعوة، ويتحرك بها ليل نهار، فهو بالنسبة للدعوة كمنزلة الرأس من الجسد، فلا بد منه لنجاح الدعوة وتثبيتها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ». (متفق عليه)، خاصةً عندما يعود الإسلام غريباً، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَذُوبُ فِيهِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، قِيلَ: مِمَّ ذَاكَ؟، قَالَ: «مِمَّا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ» (موسوعة النابلسي).

وما من نبي إلا وقد أُبتلي وتحلى بالصبر رغم المعاناة العظيمة، فكان له ما أُرسل به، وكذلك من تبعهم من الدعاة الصادقين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولنستعرض ما كان من أمر سيدنا يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام.

لماذا سكت نبي الله يعقوب عليه السلام على جريمة أولاده عندما عادوا إليه بقميص يوسف وعليه دم كذب؟!، خصوصاً وأنه لم يُصدّقهم عندما رأى القميص سليماً دون تمزيق، فقال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ (يوسف ١٨)، ولماذا لم يذهب إلى موقع الجريمة ليبحث عنه كما يفعل أي أب في مثل هذا الموقف؟!، بل لماذا لم يُجبرهم على الاعتراف بما فعلوه

بأخيهم؟!، ولماذا اختار الطريق الأصعب حيث قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف ١٨).

ثم يعجب الإنسان من تكرار الجواب نفسه بعد سنوات طويلة عندما عاد إليه أبناؤه من مصر وقد نقص عددهم اثنين، وهما الأخ الأصغر الذي حبسه يوسف عنده، والأخ الأكبر الذي أصر على البقاء في مصر خجلاً من أبيه، فقال مرة أخرى: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف ١٨).

وتبين فيما بعد أنه كان على يقين من نتائج صبره ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ (يوسف ٨٣)، لكنه لا يكشف أولاده بما في صدره مكتفياً بتوكله على الله ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف ٨٣). وعجب أيضاً من إصراره على كتمان ألمه في قلبه، ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ (يوسف ٨٤)، ليعاني وحده بصمت، دون أن يطالبهم بالإفصاح عن شيء، ﴿ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف ٨٤). وأولاده يعجبون من صبره وطول أمله، فيتساءلون ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفَتَوْا تَذَكَّرُ يُونُسَ ﴾ (يوسف ٨٥)، حتى تموت من الحزن؟!، فيكتفي بالقول ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٨٦)، هنا لا بد أن ندرك عند هذه الجملة الأخيرة أنه كان قد أوحى إليه فعل

الله تعالى كان قد أمره بالسكوت منذ البداية، فكنتم همّة الكبير في قلبه سنواتٍ طويلاً، حتى فقد بصره من الحزن دون أن يشكو للناس بكلمة، وقد علمنا أيضاً أن ابنه يوسف قد أوحى إليه منذ أن جعلوه في غيابة الجب، فعلم عندها أن وراء المكيدة حكمة إلهية، وأنه سيأتي اليوم الذي ينفذ فيه الوعد ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لَهُمْ يَا قَوْمِ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف ١٥)، فصبر أيضاً كصبر أبيه، وتحمل الأسر والغربة والسجن بضع سنين.

لم يخرج سيدنا يعقوب للبحث عن ولده، ولم يحدثنا القرآن الكريم عن طلبه من الله أن يدلّه عليه، ولم يعد يوسف بعدما كبر وتمكّن إلى أهله، كما لم يحدثنا القرآن عن طلبه من الله أن يرشد أهله إليه، فكلاهما كان ينتظر ويصبر ويكتم، وكلاهما كان يُنفذ أمر الله ويتابع وظيفته بهداية الناس وتبليغ الرسالة.

وعندما جاء موعد كشف الحقيقة عاد ليعقوب بصره، وعاد ليوسف أهله، وطلب إخوته المغفرة، ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ هَذَا لِي تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف ١٠٠)، وأخذ يوسف يُعدد نعم الله عليه ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف ١٠٠) بدلاً من الانتقام والشماتة، وبعد أن جلس على العرش و سجد إخوته بين يديه، لم يُعاتب منهم أحداً ونسب الأمر كله إلى الشيطان، ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴿ (يوسف ١٠٠) ، ولم يتساءل  
لماذا كان عليه أن يُعاني سنوات طوالاً مع أبيه، بل قال ﴿ رَبِّي لَطِيفٌ  
لِّمَا يَشَاءُ ﴾ (يوسف ١٠٠)، وأوكل كل شيء إليه ﴿ إِنَّهُ هُوَ  
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف ١٠٠).

وتابع تعداد النعم دون أن يلتفت إلى كل ما مرَّ به من محن،  
﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ  
الْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف ١٠١)، وكيف له أن يُعاتب ربَّه أو يتذمر وهو  
تعالى ﴿ فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (يوسف ١٠١)، بل أخذ  
يدعو بكل ضراعة وخشوع ﴿ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
تَوَفَّقَنِي مُسْلِمًا ﴾ (يوسف ١٠١)، وزاد بكل تواضع ﴿ وَالْحَقِّنِي  
بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف ١٠١).

بعد هذا كله لا بد أن نوقن بأن الأنبياء هم أشد الناس ابتلاءً  
وأنة لا بد أن يحيط أهل الضلال والحساد بالصالحين إلى درجة أن  
يبتلي الله أنبياءه بأبنائهم وإخوتهم وبني قرابتهم، وكان الخطاب  
الإلهي يُطمئن نبينا محمد ﷺ بأن الأمر لن يختلف كثيراً في أمته، ﴿ وَمَا  
أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف ١٠١).

والفرج لا يأتي إلا بعد أن يصل الصبر إلى نهايته ﴿ حَتَّى  
إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ  
نَصْرًا فَفُجِّىَ مِنْ نَشَاءٍ ﴾ (يوسف ١١٠)، وعندها تكون المهلة

أَيْضاً قَدْ انْتَهت ﴿ وَلَا يُرَدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴾  
 (يوسف ١١٠). والعجب بعد كل هذا لمن ينفد صبره ويسأل عن عدل  
 الله وحكمته، ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي  
 بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (يوسف ١١١).

ففي القرآن العظيم أجوبة على كل الأسئلة، ﴿ وَتَفْصِيلَ  
 كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١)،  
 فلنكن على يقين بأن هناك شيئاً ينتظرنا بعد الصبر ليُبهرنا ويُنسي  
 الصابرين منا مرارة الألم.. ذلك وعد ربي، ﴿ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ  
 الْوَعْدَ ﴾ (آل عمران ٩).

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا،  
 اللهم اجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا، اللهم اجعلنا ممن يقرأه  
 فيرقى ولا تجعلنا ممن يقرأه فيزل ويشقى، اللهم ارزقنا بكل حرف  
 من القرآن حلاوة، وبكل كلمة كرامة، وبكل آية سعادة، وبكل  
 سورة سلامة، وبكل جزء جزاءً، اللهم ذكرنا منه ما نسينا  
 وعلمنا منه ما جهلنا وثبتته في صدورنا، إنك على كل شيء قدير.

## النمرود

يُذكر أن النمرود بن كنعان رجل عذّبه الله ببعوضةٍ، رغم أنه ممن ذكرهم ابن جرير حيث قال: ملك الأرض شرقها وغربها أربعة؛ مؤمنان وكافران، فالمؤمنان هما: «سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران هما: بُختنصر ونمرود بن كنعان»، ولم يملكها من البشر غيرهم.

نمرود بن كنعان حاكم بابل وملك مملكة آشور، رجلٌ متكبرٌ، ادعى الألوهية وقال كما قال غيره من الفراعنة ”أنا أحيي وأميت، أقتل من شئت وأستحيي من شئت، فأدعه حياً لا أقتله.

يُذكر أن النمرود كان أول جبارٍ في الأرض فكان الناس يخرجون إليه ويختارون من عنده بعض الطعام ليأكلوا، فخرج معهم مرة سيدنا «إبراهيم» عليه السلام ليختار من الطعام مثل الناس.

وكان هذا الملك يمرُّ بالناس، فيسألهم: من ربكم؟ فيقولون: أنت!!، حتى مر ب «إبراهيم» عليه السلام فقال له: من ربك؟ قال: «ربي الذي يُحيي ويميت» قال «أنا أحيي وأميت»، قال إبراهيمُ: «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب» فبُهِت الذي كفر.!!، قال تعالى عن ذلك في محكم التنزيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ

أَنَا أَحْيَى وَأَمِيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ  
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ  
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة ٢٥٨﴾.

فرده هذا النمرود عن الطعام، ولم يعطه شيئاً، فرجع «إبراهيم»  
عليه السلام ومرَّ على كَثِيبٍ من الرمال فقال في نفسه: ألا آخذ من  
هذا الرمل فأتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فأخذ منه  
وأتى أهله ووضع متاعه ثم نام فقامت زوجته لتجدُ -بقدره الله-  
في متاعه أطيب أنواع الطعام وأجوده، وصنعت له منه وقدمته إليه  
فقال: من أين هذا؟! قالت: من الطعام الذي جئت به، فعلم أن الله  
قدر رزقه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَحْتَسِبُ ﴿الطلاق ٢-٣﴾، فحمد الله تبارك وتعالى.

ويُذكر أن أهل العراق قد اشتكوا إبراهيم لدى الملك النمرود،  
بعدهما اتهموه بأنه هو من حطّم أصنامهم، فلما حُمِلَ إلى بلاط الحكم  
سأله الملك عن آية وجود الرب، فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي  
ويميت، فأتى الملك برجلين فقتل أحدهما وسرح الآخر، وقال لها  
أنا ذا أحيي وأميت، فقال إبراهيم: إن الله الذي أعبدته قادرٌ على أن  
يأتي بالشمس من جهة الشرق فأنت أنت يا من تزعم الألوهية بها  
من جهة الغرب، يقول الله عزوجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿البقرة ٢٥٨﴾  
وألجم لسانه وأسقط في يديه وأعجزه المقال.

فبعث الله للنمرود ملكاً ليؤمن بالله ويبقى على ملكه، ولكنه قال بعنجهية: وهل لكم ربٌ غيري؟!، فجاءه ملك ثانٍ وقدم له نفس العرض، فرفض أن يؤمن، ثم جاءه ثالث، فرفض.

فقال النمرود للملك: إجمع جموعك وأجمع جموعي، فجمع نمرود جيشه وقت طلوع الشمس، فأمر الله أن يفتح عليهم باباً من البعوض، فكانوا لا يستطيعون رؤية قرص الشمس من كثرتهم، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فمن كثرة البعوض لم يبق إلا عظامهم، وكذلك لم يبق إلا الملك النمرود الجبار فلم يصبه شيء من هذا، ولكن بعث الله عليه بعوضة، دخلت في أنفه ثم دخلت إلى دماغه، فمكث هذا الملك الجبار (٤٠٠) سنة، يُضرب بالمطارق والنعال على رأسه حتى تهدأ البعوضة من الحركة التي تزعجه إزعاجاً شديداً، فكادت أن تذهب بعقله وتجعله مجنوناً.

وللعلم فإن النمرود كان قد ملك الأرض لـ (٤٠٠) سنة قبل ذلك، فعاقبه الله بـ (٤٠٠) سنة أخرى من العذاب والخزي والذل عن طريق بعوضة صغيرة، وهذا جزاء من ادّعى الألوهية، فكانت نهايته أن عذبه الله بحشرةٍ ضعيفةٍ حتى هلك ومات. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا

وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿البقرة: ٢٦﴾

نشرت الصحف العراقية في شباط من عام (٢٠١٧)م بأنه تم العثور على قبر النمرود وزوجته في كركوك بالعراق، ونشرت صور الهياكل العظمية الضخمة مرصعة بكميات كبيرة من الذهب، حيث تُقدر المجوهرات التي يلبسونها بحوالي (٣٠٠) مليون دولار أمريكي، وسوف تُنَبَش العديد من القبور الاخرى بالقرب من قبرهما بحثاً عن المزيد من الكنوز.

اللهم عليك بالظالمين فإنهم لا يعجزونك، اللهم أهلك كل جبار متكبر في الأرض، اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه وأهلكه عاجلاً غير آجل يا رب المستضعفين، اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة . ونسألك العفو والعافية والمغفرة والفردوس الأعلى .

## أنت في عبادة

إنَّ أقصى وقت لأداء فرائض الصلوات اليومية ربما لا تتجاوز مدتها ساعة واحدة أي حوالي (٥٪) من مجموع ساعات اليوم.. وصيام شهر رمضان يعادل تقريباً (٥, ٨ ٪) من مجموع شهور السنة، والزكاة تُدفع لمن يملك النصاب فقط مرة كل عام، وكذلك الحج مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً.

نساءل أحياناً؛ هل مهمتنا في هذه الحياة تأدية هذه الشعائر من صلاة وصيام وزكاة وحج فقط؟! الجواب عن هذا السؤال هو؛ إنَّ العبادة ليست تأدية تلك الفرائض فقط رغم أنها شرط وأساس لقبول العبادات التعاملية في الحياة، فأنت في عبادة عندما تُساعد الآخرين، وأنت في عبادة عندما تُطعم المسكين، وأنت في عبادة عندما تصلُّ أرحامك وتبرِّ والديك، وأنت في عبادة عندما تُؤدي الأمانة وحقوق الآخرين.

أنت في عبادة عندما تكفَّ لسانك عن الكلام البذيء، أنت في عبادة عندما تبتسم في وجوه الناس، أنت في عبادة عندما تكون لطيفاً في تعاملك مع أهلِكَ، أنت في عبادة عندما تكتمُ غيظك، أنت في عبادة، عندما تكون سمحاً في بيعك وشرائك، أنت في عبادة عندما ترفض الرشوة انت في عبادة، عندما تحتاطُّ من الخلوة، أنت في عبادة عندما تغضُّ بصرَكَ.

أنت في عبادة عندما تكون حليماً صبوراً، أنت في عبادة،  
عندما تكون متواضعاً، أنت في عبادة عندما تكون صادقاً، أنت في  
عبادة عندما تكون نظيفاً في بيتك، ومكان عملك وشارعك.. وإذا  
كنت موظفاً مسؤولاً فأنت في عبادة عظيمة، عندما تُصلحُ وتُتقنُ  
وتُحسن.

هذه العبادات التعاملية هي التي تجعل الآخرين يدخلون في  
دين الله أفواجا، لأنهم يرون نماذج بشرية مشبعة بالقيم الإيجابية،  
تكاد تكون ملائكية التصرف، مثل هذه العبادات التعاملية هي  
التي أدخلت الكثيرين في الإسلام... فأندونيسيا لم تصلها الجيوش  
الإسلامية فاتحةً، ولكن وصلها تجار مسلمون من اليمن، بهروا  
الناس بحسن تصرفهم وأخلاقهم، بحيث كان أحدهم عندما  
يفتح متجره في الصباح يأتيه المشتري الأول فيبيعه، فإذا جاء الثاني؛  
يرجوه التاجر أن يشتري من دكان جاره لأنه لم يبع شيئاً بعد! أي  
أخلاق هذه؟ وأي إثارة هذا؟ بل أي عبادة سامية تلك؟! والمسلم  
كما ذكر عن الفاروق رضي الله عنه يمكن أن يكون أحسن داعية  
بفضل تعامله ولو لم ينس بنت شفة.

## أين أنت من هؤلاء؟

الإسلام دين عظيم، يُلامس الفطرة ويحل كل مشاكل البشرية، ودستوره الخالد هو القرآن الكريم، بآياته المسطورة التي تحثنا على التفكّر بالكون المنظور، وما بث فيه من آيات واضحة وعلامات تدل الإنسان على عظمة خالقه، إذا استعمل أداة التفكير الصحيح.

ومع أن الإسلام ليس ضائعاً يحتاج إلى دليل، ولا متهماً يحتاج إلى براءة، لكنها الأدلة والحقائق تتطوع ترى لتظهر لنا بعضاً من الحكم الكثيرة التي تكمن في أوامره ونواهيه.

فقد كشفت البحوث المختلفة الحديثة صحة هذه التوجيهات، وسبق الإسلام إليها، ورغم كثرتها؛ إلا أنها وبكل أسف لم تجد من عامة المسلمين إلا الإهمال أو الاستهزاء!، لأن جُلهم أو كلهم واحد من ثلاث؛ الأول: اهتم بالعلوم التطبيقية البحتة واقتفى أثر الغرب تماماً، فلم يعد يؤمن إلا بما يحس ويرى، وانفصل كلياً عما جاءت به الأديان السماوية.

والثاني: اهتم بالناحية الروحية من الدين اهتماماً كبيراً، حتى انفصل عن الواقع العملي والعلمي الذي حواه هذا الدين الحنيف.

والثالث: محتار بين هذا وذاك!، فلا يُحب الجفاف الروحي الذي يُعاني منه الأول، ولا الانفصال عن واقع الحياة العملي

عند الثاني، فهو يبحث عن فهم سليم ومتوازن، يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

وواقع الحال أننا بأمس الحاجة إلى الطبيب العالم العامل العابد، الذي يعتقد أن الطب محرابٌ للإيمان، يرى من خلاله قدرة الحكيم العليم، ويقف سنين طويلة أمام قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١).

كما أننا بأمس الحاجة للفقير العالم العامل العابد، راهب الليل فارس النهار، طيب الأنفس والقلوب، الذي نجد في صيدليته كل ما نحتاج إليه من حلول إسلامية بلغة عصرية مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله.

ولا بد من التذكير بأن الأصل الصحيح والمرجع الثابت يكمن في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فإن كانت نتيجة تجربة علمية تُخالف ما جاء بالشرع، فلا غرابة في ذلك لقصور العقل البشري، ولا شك أبداً بأن الصواب، كل الصواب دائماً في شرع الله، والعلم الصحيح الذي يُساعد على معرفة سنن الكون وقوانينه، واستغلالها لخدمة الإنسان؛ لا بد أنه من روح هذا الدين الكامل الشامل، والمسلم يُعجبه أن يرى نتائج أبحاثه وأبحاث غيره مطابقة لشرع الله، فلماذا العجب من هذا؟! بل لماذا الاستهزاء بذلك؟.

فنحن في هذا متبعون لا مبتدعون، ففي الحديث الصحيح

الذي رواه مسلم، سُر رسول الله ﷺ وابتهج أن وافق حديث تميم الداري حديثه الذي سبق وأخبر الصحابة به، والرسول الكريم المؤيد بالوحي يُعلن سروره البالغ على المنبر وأمام الصحابة، كما ستجده مفصلاً في هذا الحديث الشريف، فما بالنا لا نفرح ونُسِر ونبتهج عندما نجد مثل ذلك.

روى مسلم في صحيحه عن فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس، أنها سمعت منادي رسول الله ﷺ يُنادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد قالت: فصليتُ مع رسول الله، فكنت في صفِّ النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «ليلزَم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أندرون لم جمعتمكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إني، والله ما جمعتمكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ولكن جمعتمكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء، فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن مسيح الدجال.

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجماد، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أرفثوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابةٌ أهلبٌ كثيرُ الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سممت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأينا قط خلقاً، وأشدّه وثاقاً، مجموعةً يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أناسٌ من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابةً أهلب كثير الشعر، لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق.

فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألکم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟  
قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بءاء العين؟ قلنا له: نعم،  
هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي  
الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب، قال: أقاتله  
العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على  
من يليه من العرب، وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم،  
قال: أما إن ذاك خيرٌ لهم أن يطيعوه.

وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني يُوشك أن يُؤذن لي  
في الخروج، فأخرج فأسيرُ في الأرض، فلا أدعُ قريةً إلا هبطتها في  
أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردتُ أن  
أدخل واحدةً، أو واحدةً منهما استقبلني ملكٌ بيده السيف صلتاً،  
يصدني عنها، وإن على كل نقبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعنَ بمنصرته في المنبر: «هذه  
طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة». «يعني المدينة». ألا هل كنتُ حدثتكم  
عن ذلك؟ فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديثُ تميم أنه وافقَ  
الذي كنتُ أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام  
أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو.  
«وأوماً بيده إلى المشرق»، قالت: فحفظتُ هذا من رسول الله ﷺ.

## حكاية وعبرة

دخل رجل الى محل للخضار والفاكهة ليشتري، فقال للتاجر: كم سعر الموز؟ فقال البقال: إثنا عشر ديناراً والتفاح؟ عشرة دنانير، وفي هذه اللحظة دخلت امرأة إلى نفس المحل، يعرفها البقال جيداً، تسكن في الحي نفسه، فقالت: اريد كيلو موز فكم سعره؟ قال البقال: ثلاثة دنانير والتفاح؟ بدنانيرين قالت المرأة: الحمد لله.

عندها نظر الرجل الموجود في المحل إلى البقال شزراً، واحمّرت عيناه غضباً، وأراد أن يتجاوز عليه، ولكنه غمزه وقال: انتظرني قليلاً، وأعطى البقال المرأة طلبها وذهبت وهي فرحة، وتقول: الحمد لله، سوف يأكل عيالي هذه الليلة، وسمعتها كل من كان في البقالة، كيف تحمد الله وتشكره.

قال: البقال للرجل الموجود: والله ما غششتك، ولكن هذه المرأة هي أم لأربعة ايتام، وترفض أي مساعدة من أحد، وكلمها أردت أن أساعدها لا تقبل لعفة نفسها وعزتها، وفكرت طويلاً كيف أساعدها؟!، ولم أجد إلا هذه الطريقة لمساعدتها، وهي خفص الأسعار لها لأشعرها أنها غير محتاجة لأحد. وأنا أريد أن أعمل خيراً، وأحب هذه التجارة مع الله، وأحب أن أجبر خاطرها.

يقول البقال للرجل: هذه المرأة تأتي كل أسبوع مرة، والله والله في اليوم الذي تشتري مني هذه المرأه أربح أضعافاً مضاعفةً،

وأرزق من حيث لا أدري، لأني جبرتُ خاطرها وساعدتها.  
يقول الرجل: دمعت عيناى وقبّلتُ رأس البقالِ لا شعورياً  
على موقفه هذا، وحمدتُ الله أنني لم أتسرع بالحكم عليه، وعجبتُ  
من فطنة هذا التاجر مع الله بنفس القدر من الإعجاب بعزة نفس أم  
الأيتام، وعقدتُ العزم للمضي بنفس التجارة مع الله.

هذه القصة ذكرتني بصاحب المطعم السوداني في أطراف  
الخرطوم، حيث يقولُ والدمع يتلجلج في عينيه الذابلتين: مطعمنا  
صغيرٌ نسبياً وعمله متواضعٌ، نحضّر من المواد الخام ما يصلحُ لنفس  
اليوم، لتتجنب التخزين لقلة الكهرباء وكثرة انقطاعها.

وفي يوم عاصفٍ غير مستقرٍ، جهّزنا ما اعتدنا عليه مع شيء  
من الزيادة، وانتظرنا الرزاق، وعلى غير العادة لم يأتنا أحدٌ قط، وقد  
حوقلت ودعوت الله أن يرزقنا من عنده، وتفاعل العاملون مع  
الحدث بشيء من الحُزن والانكسار، وبقينا هكذا حتى جنّ الليل،  
ولم نياس من رحمة الله أبداً.

وقبل منتصف الليلِ رأيتُ ضوءاً خافتاً في آثار بيتٍ قديم  
مقابل المطعم، يظهر المرة ويختفي الأخرى، فثار في داخلي فضولٌ  
أن أعرف سره، فمشيتُ إليه؛ وإذ بامرأةٍ لا ترى من وجهها سوى  
عينها، تقوم على خدمة شبه هياكل عظمية من صبية صغارٍ  
يتضورون من الجوع والعطش. وبعد أن عرفت أنهم أيتام مهاجرون

وصلوا التوهم ولا يملكون شيئاً.

استدرت فوراً الى المطعم، وحملت لهم من الطعام والشراب المقدس ما يكفيهم، وعدت إليهم مسرعاً، وبدخلي إحساس عجيب من الفرحه أنني وجدت من يأكل بعض الطعام قبل أن يفسد، ويا فرحتي عندما هجموا على ما أحضرت من الطعام، يأكلون بنهم ويشكرون، وأهمهم تطعم هذا وتسقي هذا حتى شبعوا، فتذكرت جوعها وعطشها، فأكلت وشكرت وحمدت الله على هذه النعمة العظيمة ودعت لنا بخير.

تركتهم وأنا في سرورٍ عوضني عما أحزني في النهار، وما أن جلست قليلاً في المطعم وقارب الليل انتصافه، أمرت العمال أن تجهز للإغلاق، وليتدبروا باقي الطعام، وبينما أنا كذلك، وإذا بباصٍ يحمل عدداً كبيراً من الركاب يقفُ أمام المطعم، وينزل منه سائقه، ليسألني إن كان لدينا طعام في هذه الساعة المتأخرة لهذا العدد الكبير من السواح، فقلت نعم يوجد ما تطلبه، فنزل الركاب فرحين وملاًوا المطعم عن بكرة أبيه، فقدّمنا كل ما عندنا وطبخنا لهم المزيد، فأعربوا عن شكرهم العظيم على لذة الطعام وعلى أن وجدوا في هذا الوقت من الليل مطعماً بعدما أعياهم البحث عن مطعم، لكنهم وجدوها قد أغلقت ابوابها بسبب الليل وانقطاع الكهرباء انصرفوا جميعاً ونحن في غاية الذهول مما حدث، وكيف أن

الله قد ساق هذه الرزقة في يوم عصيب غير مستقر، وكيف أننا ربحتنا أضعافاً مضاعفة مقارنة بالأيام السابقة، وحمدنا الله، ثم انصرف كل منا إلى بيته.

أحداث هذا اليوم لم تفارق مخيلتي قط، وبينما أنا سارح في أعماق تفكيري، تذكرت الأيتام وأمهم، فقلت في نفسي هنا يكمن السر، فعقدت العزم على أن أكرمهم في الصباح وفي غيره، وبعد صلاة الصبح ذهبت باكراً إلى المطعم لتحضير الإفطار لهم، إلا أنني تفاجأت برحيلهم، فحزنتُ حزناً شديداً على فقدان جيران الخير والبركة.... فأين أنت يا أم الايتام؟!، بركة دعائك وجوارك رزقنا، وبضعف أيتامك بارك لنا المولى في ما أعطانا ورزقنا من حيث لم نحتسب، آه وألف آه يا أم الايتام.... ليت قومي يعلمون ما لكم من حق علينا، أعانكم الله ورزقنا القوة والمقدرة على خدمتكم.

نعم، أنفق يُنْفِقُ عليك، حتى حين تجبرُ خاطراً أو تُزِيلُ هَمًّا أو تُسَعِدُ نفساً، سيأتي اليوم الذي يُرد لك به جميلك أضعافاً، فإن في قضاء حوائج الناس، لذة لا يعرفها إلا من جربها. يقول ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

## رؤيا حق

خليل السيد رجل يشتغل بصناعة الحصير، وكان كلما وجد مصليّ بلا حصيرة، أو مفروشاً بقش الأرز، هرع إليه وفرشه بالحصير الجديد، وكانت المصليّات آنذاك تُفرش بالحصير .. جاءته رؤيا عجيبة !!.

رأى في منامه رؤيا عجيبة!، رأى وكأن عمودَه الفقري يتشكّل ويتدلى منه عنقودٌ من العنب، والناس تأتي جماعاتٍ جماعات، يأكلون من عنقود العنب هذا، وعنقودُ العنبِ لا ينفد!!، ولما تكرّرت الرؤيا.. ذهب لأحد الشيوخ وقصّها عليه، فسأله الشيخ إن كان له ذريةٌ، قال: ولدي محمود وعمره عامان .

قال له الشيخ: ألحقه بالأزهر، ليتعلّم العلوم الشرعية، فسوف يكون له شأن كبير، ألحقه أبوه بالأزهر، وختم محمودُ القرآنَ في عمر الثامنة، وكان أوّل من سجّل المصحف المرتل في أنحاء العالم، بطريقة رواية حفص عن عاصم، ورفض أخذ أجره مالية عليها فوضع الله لها القبول في الأرض.

محمود خليل الحصري أحد أشهر قُرّاء القرآن الكريم في العالم الإسلامي. وُلد في عام (١٩١٧م) في قرية شبرا النملة التابعة لطنطا بمحافظة الغربية بمصر. انتقل والده قبل ولادته من محافظة الفيوم إلى قرية شبرا النملة، حيث وُلد الحصري. أدخله والده الكتاب في

عمر الأربع سنوات ليحفظ القرآن وأتم الحفظ في الثامنة من عمره. كان يذهب من قريته إلى المسجد الأحمدي بطنطا يومياً ليحفظ القرآن وفي الثانية عشرة انضم إلى المعهد الديني في طنطا. ثم تعلم القراءات العشر بعد ذلك في الأزهر.

أخذ شهادته في علم القراءات ثم تفرغ لدراسة علوم القرآن، لما كان لديه من صوت متميز وأداء حسن. في عام (١٩٤٤)م تقدم إلى امتحان الإذاعة وكان ترتيبه الأول على المتقدمين للامتحان. في عام (١٩٥٠)م عُين قارئاً للمسجد الأحمدي بطنطا كما عُين في العام (١٩٥٥)م قارئاً لمسجد الحسين بالقاهرة.

تزوج عام (١٩٣٨)م، وكانت معظم مسؤوليات التربية تقع على كاهل زوجته بسبب انشغاله بعمله وأسفاره، ويروي أحد أبنائه أنه كان يُعطي كل من حفظ سطرًا قرشاً صاعاً بجانب مصروفه اليومي، وإذا أراد زيادة يسأل ماذا تحفظ من القرآن؛ فإن حفظ وتأكد هو من ذلك أعطاه، وقد كانت له فلسفة في ذلك فهو يؤكد دائماً على حفظ القرآن الكريم حتى نحظى برضى الله علينا ثم رضى الوالدين، فنكافأ بزيادة في المصروف وكانت النتيجة أن التزم كل أبنائه بالحفظ، وأذكر أنه في عام (١٩٦٠)م كان يعطينا عن كل سطر نحفظه خمسة عشر قرشاً، وعشرة جنيهاً عن كل جزء من القرآن نحفظه، وكان يتابع ذلك كثيراً إلى أن حفظ كل أبنائه ذكوراً وإناثاً

القرآن الكريم كاملاً والحمد لله.

كان أول من سجل القرآن برواية حفص عن عاصم عام (١٩٦١)م. وأول من سجل القرآن برواية ورش عن نافع عام (١٩٦٤)م. وأول من سجل القرآن برواية قالون ورواية الدورى عن أبي عمرو البصري عام (١٩٦٨)م. وأول من سجل القرآن المعلم (طريقة التعليم) عام (١٩٦٩)م. وأول من رتل القرآن بطريقة المصحف المفسر عام (١٩٧٥)م وأول من رتل القرآن في الأمم المتحدة. وأذن لصلاة الظهر في الأمم المتحدة عام (١٩٧٧)م. وأول من رتل القرآن في القصر الملكي في لندن عام (١٩٧٨)م. وأول قارئ يقرأ القرآن في البيت الأبيض، وقاعة الكونغرس الأمريكي. وفي قاعة هايوارت المطلة على نهر التايمز في لندن.

توفي رحمه الله في (٢٤) تشرين الثاني سنة (١٩٨٠)م، من بعد صلاة العشاء بعد أن امتدت رحلته مع كتاب الله الكريم ما يُقارب من خمسٍ وخمسين عاماً. ولا زال العالم الإسلامي يأكل من عنقود، العنب وعنقود العنب لا ينفذ!، غفر الله له، ورزقنا ذرية طيبة ووفقنا لما يحب ويرضى وسبحان الذي لا يُضيق أجرَ من أحسن عملاً.

أحسن الوالدُ بفرش المساجد حتى لُقّب بالحُصري، فنشر الله صوت ابنه في أنحاء الأرض باسم الحصري، الذي لا يزال يتردد على أسمعنا في مشارق الأرض ومغاربها بهذا اللقب، فلا تستصغر

عملاً أردتَ به وجهَ الله. إنه القارئ محمود خليل الحصري، رحم الله  
الشيخ محمود الحصري ورحم والده الرجل الصالح الذي بذر هذه  
البذرة. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف ٨٢).

## سليمان القانوني المفتري عليه!

يُروى عن الخليفة العثماني السلطان سليمان القانوني رحمه الله، أن موظفي القصر أخبروه عن استيلاء النمل على جذوع الأشجار في قصر «طوب قاي»، وبعد استشارة أهل الخبرة، خلص الأمر إلى ضرورة دهن جذوع الأشجار بالجير؛ ولكن السلطان سليمان كان من عادته حين يقدم على أمر أن يأخذ رأي مفتي الدولة، الذي كان لقبه الرسمي شيخ الإسلام؛ فذهب إلى أبي السعود أفندي بنفسه يطلب منه الفتوى؛ فلم يجده في مكانه، فكتب له رسالة بيت شعر يقول فيها:

إذا دبَّ نملٌ على الشجر      فهل في قتله من ضرر؟

ولما قرأ الشيخ أبو السعود الرسالة أجابه بقوله:

إذا نصبَ ميزان العدل      أخذ النمل حقه بلا وجل

وهكذا كان دأب السلطان سليمان، فقد كان لا يُنفذ أمراً إلا بفتوى من علماء الإسلام. ولما توفي السلطان سليمان أثناء سفره إلى فينا قبل معركة زيكاتور، عادوا بجثمانه إلى اسطنبول، وأثناء التشييع وجدوا أنه قد أوصى بوضع صندوقٍ معه في القبر، فتحير العلماء، ظنوا أنه مليءٌ بالمال، فلم يُجيزوا إتلافه تحت التراب، وقرروا فتحه

فأخذتهم الدهشة عندما رأوا أنَّ الصَّنْدُوقَ ممتلئاً بفتواهم حتى يدافع بها عن نفسه يوم الحساب !!. فراح الشيخ أبو السعود مفتياً الدولة العثمانية يبكي قائلاً: لقد أنقذت نفسك يا سليمان، فأبي سماء تُظَلِّنا وأبي أرضٍ تُقَلِّنا إن كنا مخطئين في فتاوانا؟! . ومما رُوي عنه - رحمه الله - قوله: عندما أموت أخرجوا يدي من التابوت لكي يرى كل الناس أنه حتى السلطان خرج من هذه الدنيا بيدٍ فارغة.

هذه سيرة السلطان سليمان، وليست سيرة حريم السلطان، ذلك المسلسل القدر، والقنوات والممثلون الأقدَر، الذين شوهوا صورة ذلك البطل المجاهد الذي بلغت مساحته دولته أربعة وعشرين مليون كم مربع موزعة اليوم على أربعين دولة، والذي كان شاعراً وخطاطاً مجيداً، خطَّ القرآن الكريم بيده ثمان مراتٍ. وكان مُلمّاً بعدة لغاتٍ من بينها اللغة العربية، وكان يُلقب بسلطان المثقفين ومثقف السلاطين.

وقد دام حكمه سبعةً وأربعين عاماً، قضى منها عشر سنوات على ظهر فرسه غازياً في سبيل الله، وقاد خلالها ثلاث عشرة حملةً عسكريةً بنفسه. وفي عهده فُتحت صربيا والمجر وجنوب أوكرانيا ورومانيا وبلاد القوقاز، ووصلت قواته إلى النمسا في قلب أوروبا. وحررت في عهده الجزائر وليبيا من الاحتلال الإسباني والعراق من الاحتلال الصفوي، وحررت البحرين واليمن، وتم تطهير سواحل

الخليج العربي وخليج عدن من الأساطيل البرتغالية الصليبية.  
وكان يتدخل في شؤون فرنسا الداخلية ويعدها ولاية تابعة  
لدولته، وفي عهده تنازلت فرنسا عن ميناء طولون، فأصبح قاعدةً  
حريّةً إسلاميةً هامة في غرب أوروبا.

ولما توفي السلطان سليمان القانوني أثناء سفره إلى فيينا قبل  
معركة - زيكتور - دقت أجراس الكنائس في كل أوروبا فرحاً  
بموته، وجعلوا يوم وفاته عيداً من أعيادهم .

يقول المؤرخ الألماني الشهير «هالمر» كان هذا السلطان أشد  
خطراً علينا من صلاح الدين نفسه، هذا هو السلطان سليمان  
القانوني الذي سُوه تاريخه وجعلوه مجاً للنساء، يلعب ويلهو مع  
حريم السلطان. لله دره من قائد عظيم، لم يسلم من التزوير والتشهير  
به حتى بعد مماته، لكن ما ضره ذلك ما دام علام الغيوب؛ يعلم السر  
وأخفى.

## الانتقامُ العجيبُ!

جاءت فاطمة من قريتها إلى العاصمة. بعد أن حصلت على شهادة البكالوريا بتميز. اختارت أن تتابع دراستها في الصيدلة. اجتازت امتحان القبول بنجاح وانطلقت في الدراسة، يحدوها أملٌ كبير في أن تعود يوماً ما إلى قريتها الصغيرة، لتساهم في تخفيف آلام المرضى من أبنائها. كان حلماً جميلاً يراودها منذ الطفولة، لم تكن فاطمة وهي في مدرستها الابتدائية سوى واحدة من أولئك الذين يتوارثون الأحلام جيلاً بعد جيل.

نحن الآن في عام (٢٠٠٤)م، حيث قطعت فاطمة أشواطاً هامة في مسارها الدراسي. هي الآن في مستهل سنتها الدراسية الأخيرة، قريباً سيتحقق الحلم. مساء الخامس والعشرين من تشرين الاول كانت فاطمة تمر من قرب محطة جانبية في العاصمة، لما توقفت بمحاذاتها سيارةٌ سوداء، كان سائق السيارة شاباً يضع على عينيه نظاراتين سوداوين، في لمح البصر خرج من السيارة رجلان أمسكها وصارا يجرأنها إلى السيارة، حاولت أن تصرخ، ولم يأبه لها أحدٌ، ولم يستوقفهم صراخها رغم كثرتهم، زج بها في المقعد الخلفي وانطلقت السيارة السوداء بسرعة جنونية، كانت تحاول أن تقنعهم أنها ليست من فتيات الرصيف، توصلت إليهم، قالت: إنها طالبة جامعية وإنها.... في تلك اللحظة صفعها أحد اللذين أجلساها

بينهما، لم تكن فاطمة قد صُنعت من قبل .  
أيقنت أن خاطفيها يُضمرّون كل ما قد يخطر ببالها من سوء،  
لم يعد أمامها إلا أن تُسايرهم، وتحاول أن تجمع القدر الأكبر الممكن  
من المعلومات حول خاطفيها، وحول الوجهة التي يسوقونها إليها .  
أوقف السائق ذو النظارتين السوداوين السيارة، أمر مرافقيه بوضع  
عصاية على عيني فاطمة، بدا لها أنه زعيمهم، لم تعد تستطيع الرؤية،  
الآن تحركت السيارة، أحست فاطمة أنها تسلك طريقاً غير معبدة،  
حاولت أن تعرف المسافة بحساب نبضات قلبها، لما أحصت خمسمائة  
وستاً وعشرين نبضة توقفت السيارة، سمعت صوت باب حديدي  
يُفتح، ثم دخلت السيارة، توقف هدير المحرك، نزل الجميع، اقتادوها  
إلى الداخل؛ هناك فقط أُزِيح العصابة عن عينيها، أمرها أن تمثّل  
وتستجيب لكل ما يُطلب منها إن هي أرادت أن تبقى على قيد الحياة .  
كانوا أربعة، تناوبوا على اغتصابها، واستدعوا خامساً التحق بهم، لم  
يسمع أحدهم توصلها، افتضوها وتناوبوا على اغتصابها بوحشية على  
مدى ثلاثة أيام، كانوا يتناوبون على حراستها حتى لا تتمكن من  
الفرار، ولما نفذ ما جاؤوا به من أكل وشراب، قرروا التخلص منها،  
وكما جاءوا بها معصوبة العينين أخرجوها من مكان احتجازها  
معصوبة العينين، أركبها السيارة، فُتح الباب الحديدي الكبير ثم  
تحركت السيارة على الطريق غير المعبدة، ولجت الطريق الأسفلتية

ثم انطلقت بسرعة، في أحد الشوارع ألقوا بها من السيارة. ثم انطلقوا مسرعين، مرت لحظات حسبتها دهوراً قبل أن تدرك أنها استعادت حريتها، فكرت في الذهاب إلي قريتها لتبلغ أهلها بالذي تعرضت له، ولكنها سرعان ما تراجع، كيف لها أن تخبر عائلتها بالعار الذي لحقها؟!، لقد فقدت عذريتها، هي تعلم أن ذلك سوف يُسبب ألماً كبيراً لأسرتها، ولذلك قررت أن تخوض المعركة وحيدة، قصدت مركز الشرطة للتبليغ عن ما تعرضت له، كان الرد أن عليها أن تُدلي بأسماء الأشخاص الذين خطفوها ثم اغتصبوها، وأن تُحدد عنوان المكان الذي تم فيه كل ذلك، ثم أن تُرفق كل ما سبق بشهادة طبية تُثبت تعرضها للاغتصاب، تصوروا وقع هذا الجواب على نفسية فتاة مثل فاطمة كانت قبل ساعات فقط تتعرض لأبشع ما قد تتعرض له امرأة. اعتبرت فاطمة الرد إهانة تلحقها، قررت أن تستعين بمحامٍ علّه يجد سبيلاً ميسراً للقبض على الجناة ومحاکمتهم، لم يكن رد المحامي يختلف عن الرد الذي تلقته من المركز الأمني، وكانت إهانة أخرى تلت سابقتها، لم تكن فاطمة المكلمة تتوقع أن يُنظر إلى قضيتها بهذا الاستخفاف، رأت أن المسالك القانونية لأخذ حقها ممن اعتدوا عليها تحفها تعقيدات كثيرة، ولذلك قررت أن تسلك الاتجاه الآخر المعاكس. قررت أن تتأثر لكرامتها مهما كلفها ذلك، ففي نهاية

الأمر لم يعد لديها الكثير مما تخسره، خسرت عُذريتها ولم يعد لها من مجال لتعود إلى قريتها لتحقق على الأرض حلم الصبا، عادت فاطمة إلى البيت استجمعت قواها وباشرت التخطيط لتصل إلى خاطفيها. في صباح التاسع والعشرين من تشرين الاول بعد أربعة أيام من فاجعة اختطافها؛ ارتدت ملابس لا تُتيح لخاطفيها التعرف إليها إن هي صادفتهم، أخذت وجهة البيت حيثُ احتجزت وتعرضت للاغتصاب، لما وصلت إلى المكان الذي توقف فيه خاطفوها ليضعوا عصابة علي عينيها، تذكرت هي الآن في بداية الطريق غير المعبدة التي تمهلت عندها سيارة الخاطفين، كان مسلكاً ينهجه المزارعون، تقدمت في المسلك وهي تُحصي نبضات قلبها، حين أحصت خمسمئة وستاً وعشرين نبضة كانت قريبة من بوابة حديدية كبيرة، هي بوابة البيت المشؤوم حيثُ احتجزت وتناوب على اغتصابها أفراد العصابة، انتابها إحساس غريب، تمازج فيه الغضب بالخوف الشديد، اقتربت من البوابة، طرقتها مرةً ثم مرات ومرات لا تُجيب، مر بجانبها مزارعٌ أخبرها أن أصحاب هذا البيت لا يأتون إليه إلا في أيام العطل، كانت تريد أن تعلم من يكونُ صاحب البيت. وبينما هي تسائل نفسها، استقر نظرها في شروده على صندوق العداد الكهربائي، اقتربت منه في أسفل الصندوق رقم تسلسلي رقم المشترك، سجلت الرقم في ورقة ثم انصرفت.

عادت فاطمة إلى العاصمة، أوت إلى غرفتها، أغرقت في التفكير، تُريد الآن أن تعرف مَنْ صاحب رقم الاشتراك، كانت فاطمة شابة ذات أخلاقٍ راقية، فحُسن معاملتها لموظف شركة توزيع الماء والكهرباء الذي يأتي نهاية كل شهر لاستخلاص الفاتورات، جعلته يكنّ لها ودّاً واحتراماً، لما التقت به في الغد طلبت منه خدمةً قالت: إنّ شاباً تقدم لخطبتها وبها أنها لا تعرف شيئاً عنه وعن ذويه فقد سجلت رقم الاشتراك في الربط الكهربائي وتريد الحصول على معلومات إضافية، بعد يومين جاء موظف شركة توزيع الماء والكهرباء حاملاً معلوماتٍ قيمة، أتاها بالاسم الكامل لصاحب الاشتراك ومحل سكنه، هي الآن ربما في بداية الطريق لملاحقة رأس العصابة التي اختطفها واغتصبتها وحطمت نفسيّتها و دكت أحلامها، استحضرت فاطمة مثلاً شعبياً مفاده أن ضربة مقص واحدة تقتضي التفكير مائة مرة ومرة، ولذلك لزمت غرفتها يومين، تُدقق تفاصيل خطة تحركها. خلال اليومين استعرضت حياتها مرحلة بمرحلة؛ من الطفولة وأحلامها العجيبة إلى كلية الصيدلة، مر شريط الأحداث سريعاً ولكنه توقف مطولاً عند مساء ذلك الخامس والعشرين من تشرين الاول حيث اختطفت قرب المحطة، الشعور بالعار يحول بين فاطمة والارتقاء في حضن قريتها الدافئ. وضعت فاطمة ترتيباً

دقيقاً لأفراد العصابة، ترتيباً يبدأ بمتزعمها، صاحب السيارة السوداء ذي النظارتين السوداوين فهل ستستطيع تحقيق أهدافها؟. قررت فاطمة أن تتحرك بمفردها وأن تتأثر لكرامتها، كانت بداية تحركها بالعودة إلى المكان الذي تعرضت فيه للاغتصاب، رقم العداد الكهربائي مكنّها بمساعدة موظف شركة التوزيع من الحصول على عنوان عائلة صاحب النظارتين السوداوين، ذاك الذي يقود السيارة ويتزعم العصابة، كانوا خمسة تناوبوا علي اغتصابها وإهانتها، وقررت فاطمة أن تنتقم منهم واحدا تلو الآخر. وحتى تكون عملية في تنفيذ خطتها، وضعت لهم ترتيباً في مقدمته صاحب النظارتين السوداوين، استحضرت وهي تُخطط للتحرك كل العبر والدروس التي استخلصتها من ولعها بمشاهدة أفلام ألفريد هيتشكوك، في الخطة التي وضعت قررت فاطمة ألا تترك من أثارٍ وراءها سوى أرقام قاسمها المشترك هو الرقم خمسة، تريثت يومين، لأنها تعلم أن وجبة الانتقام تؤكل باردة، في اليوم الثالث تنكرت في شخص رجلٍ متسكعٍ، ارتدت جلباباً بالياً وحملت كيساً وراحت تحوم حول صندوق القمامة الأقرب إلي العنوان الذي حصلت عليه من موظف شركة توزيع الماء والكهرباء.

كانت في مهمة مراقبة للمكان، ظلت تراقب المنزل ثم ها هو ذو النظارتين السوداوين يخرج، كان كما رأته يوم اختطفها قرب

المحطة، فار البركان بداخلها، مر بجانبها، كانت تتراعى له متسكعاً يبحث في صندوق القمامة، تغلبت على فورة الغضب بداخلها، علمت أن ذاك الذي حطم حياتها ومزق أحلامها يُدعي «مراد»، غادرت المكان الآن صار لذي النظارتين السوداوين اسم معلوم، عادت فاطمة إلى غرفتها ورسمت ما بقي من تفاصيل الخطوة التالية، نحن الآن في الثاني من نوفمبر من عام (٢٠٠٤م) في ذلك اليوم حيث الجو ينزع إلى البارد، ارتدت فاطمة ملابسها العادية بدت كيوم تعرضت للخطف، تعمدت أن تبدو كذلك، استجمعت قواها وقصدت منزل مراد ذي النظارتين السوداوين، في إطار الجرس بالباب قرأت عائلة «بن عثمان»، علمت الآن أن صاحب النظارتين السوداوين هو مراد بن عثمان، ضغطت على الجرس وقبل أن تتلقى الرد لحق بها أحد الحراس، سألها عن غرضها قالت إنها تريد مراد بن عثمان وأنها خطيبته!

قررت أن تُحدث لديه صدمة قوية، تفقده كل قدرة على ترتيب أفكاره، بعد ثوان ظهر مراد بالباب، اضطرب لما وقع نظره عليها، سألها ماذا تريد قالت: إنها تريد مقابلة والديه من أجل إيجاد حل لما تعرضت له علي يديه و أصدقائه أفراد العصابة، مراد ذاك الوحش المفترس ينقلب فجأة إلى حمل وديع، يُفاوض من أجل إقناع فاطمة بالعدول عن مقابلة والديه، اقترح عليها أن يلتقيا لاحقاً ولكنها

رفضت وبشدة، وحتى تُطبق عليه الفخ اقترحت أن يذهباً سوياً  
وفوراً إلى أي مكان يريدُه لمناقشة الموضوع بكل هدوء، لم يكن له من  
خيار سوى القبول، أخرج السيارة السوداء من المرآب أركبها إلى  
جانبه وأخذ وجهة الشاطيء، ولكنّها فاجأته بأن طلبت منه أن يذهباً  
إلى المنزل الذي تعرضت فيه للاغتصاب، انشردت أسارير وجهه  
في الطريق، طلبت منه أن يشتري بعض المشروبات لجلسة الحوار  
الهادئ بينهما، بعد وقت قصير كانا داخل البيت أحضرت من المطبخ  
كأسين، وما أن جلست في الكرسي المقابل له حتى استعاد وحشيتة.  
أراد أن ينحو منحى العُنف ولكنّها هذه المرة كانت مستعدة  
للتصدي له، بسرعة أخرجت من حقيبتها اليدوية قارورة بخاخة،  
صوبتها إلي وجهه، كانت في القارورة مادة أعمت مراداً، وجعلته  
يخنق، خارت قواه فاستلقى علي الكرسي محاولاً استرجاع أنفاسه،  
ولكنّ فاطمة طالبة كلية الصيدلة كانت قد حضرت ماهو أقوى، فما  
أن استلقى علي الكرسي حتي بادرت به بكومة قطن مشبعة بمادة مخدرة  
وضعتها على فمه وأنفه، وما هي إلاّ ثوانٍ حتى خرّ على الأرض  
بلا حراك، سحبته إلى الغرفة حيث اغتصبها، ألقته على الفراش  
ثم جردته من كل ملابسه، وبحبل متين أحضرته معها، قيدت  
يديه ورجليه بإحكام إلى إطار الفراش، أيقنت الآن أنه لن يستطيع  
الفكاك ثم جلست بجانبه تنتظر أن يستفيق ويزول عنه وقع المخدر،

شيئاً فشيئاً استعاد مراد بن عثمان وعيه، ادرك إلى أنه مكبل ولا يستطيع الحركة، بدأ يتوسل إليها أن تفك وثاقه وهو يقسم بأنه سوف يعمل علي اصلاح غلطته والزواج منها ،تجاهلت توسله كما تجاهل هو ورفاقه من قبل توسلها إليهم لما اختطفوها ، صمت أذنيها عما كان يقول .

من حقيبة يدها أخرجت آلة تسجيل، دقت ساعة الحقيقة يا صاحب النظارتين السوداوين ، هي تريد الآن أن تستنطقه وتسجل كل ما سيقول، لم يكن غرضها أن تُسلم الشريط إلي الشرطة ولكن غايتها كانت المعلومات التي سوف تستخرجها منه حول أصدقائه الذين شاركوه اختطافها واغتصابها، طلبت منه أن يُعطيها أسماءهم وعناوينهم، حاول تضليلها، ولكنها كانت أذكى؛ طلبت منه أن يُعيد عليها ما قال فاكتشفت مراوغاته، وقررت الانتقال إلى درجة أعلى من الضغط، أخرجت من حقيبتها شفرة حلاقة وعلى مرأى منه نزعَت عنها غلافها، كانت تلمع تحت ضوء مصباح الغرفة، اقتربت من جسده العاري الممدد علي الفراش ويده مكبلتان ووثاق قدميه محكم، لا وسيلة لالتقاء حد الشفرة اللّماعة، انحنت فاطمة وهي تمسك بالشفرة بين أناملها خطت على بطنه جرحاً صغيراً، ما لبث أن بدأ بالنزيف، كان مراد يصرخ، وهي لا تأبه لصراخه، تتذكر أنه لم يأبه لصراخها حين اقتضها، صعّدت الضغط المرة تلو الأخرى

حتى حصلت منه على ما يكفي من المعلومات حول شركائه في اغتصابها وإهانتها، بمرور الوقت كانت الجراح النازفة قد غطت مساحات هامة من الجسد العاري لمراد، ولما همت بالمغادرة عمدت إليه وقطعت وريده وبدمه كتبت على الجدار واحد على خمسة.!

أغلقت باب الغرفة غادرت الضيعة، كانت تعلم أن ذا النظارتين السوداوين سيسلم الروح بعد ربع ساعة، عبرت المسلك الذي يمر منه المزارعون، ولما أفضت إلى الطريق المعبدة استقلت سيارة أجرة وعادت إلى غرفتها في العاصمة، كان لديها شعورٌ مزيج من النشوة والغضب، بعد أن استراحت بدأت تستعد للانتقام من الثاني على القائمة.

إنه ذاك الذي صفعها لما كانت تتوسل إلى خاطفيها بينما كانت على متن السيارة، علمت من مراد بن عثمان أن اسمه عصام السويدي، لن تنسى فاطمة ذاك الوحش ذي البنية القوية، كان عليها أن تُعد له خطةً محكمة توفر لها أسباب شل قوته وتجعلها أقوى منه، كان حين يمشي يخطال في مشيته ويتعمد إبداء غروره بكتلة جسده، راقبته ثلاثة أيام قبل أن تنتقل إلى الفعل، لاحظت أنه يتردد على مقهى معين كل يوم في الرابعة عصراً، لاحظت أيضاً أنه يطلب كل يوم براداً من الشاي الأخضر بالنعناع، اكتملت الصورة لدى فاطمة. أعدت له خطة تجعل تلك البسطة في الجسم التي يتمتع بها غير

ذات فائدة، حلت الآن لحظة الانتقام من عصام السويدي. تعمدت الأفراط في وضع مساحيق التجميل على وجهها، غرضها التنكر وإخفاء ملامحها، تقمصت شخصية بائعة متجولة تعرض على رواد المقهى نوعاً جديداً من معجون الأسنان، كان عصام قد أخذ مكانه عند الطاولة وطلب كعادته براد الشاي بالنعناع، كانت تترقب اللحظة التي تنتقل فيها إلى الفعل، ولما رأت النادل قاصداً طاولة عصام حاملاً براد الشاي، غيرت مسار جولتها بين زبائن المقهى، تريثت إلى أن رآته يصب الشاي في الكوب، لحظتها تقدمت نحوه تتظاهر بعرض بضاعتها، لما كان ينظر إلى ما تعرضه، قامت بوضع السم في الكأس، كان سماً قوياً فتاكاً، لم ينظر إليها ثم تجاهل بضاعتها، امتدت يده إلى كأس الشاي رشف منه رشفة ثم وضعه على الطاولة، لم يكن للسم الذي دسسته فاطمة في الكأس طعم أو رائحة، كان سماً يقتل في صمت، أيقنت أن مصرع عصام السويدي مسألة دقائق ليس إلا، انسحبت دون أن تثير الأنتباه وتوجهت إلى الحمام، تخلصت من الماكياج وغيرت ملابسها خرجت، ثم اقتعدت كرسيّاً غير بعيد كانت تراه يتلوى من الألم. هي تعلم أن السم يمزق أحشاءه، وأن لا أحد سيستطيع مساعدته بعد لحظات فارق الحياة، سارع النادل إلى إخفاء براد الشاي والكأس التي شرب منها عصام، لما حضر رجال الإسعاف لم يتمكنوا سوى

من استنتاج وفاته، قبل أن تغادر المقهى مستغلة تجمهر الفضوليين، عادت إلى دورة المياه وبأحمر الشفاه كتبت على المرآة الرقم اثنين على خمسة، ثم دلفت خارجه، عادت إلى البيت، مازال على قائمتها ثلاثة عليها أن تنتقم منهم.

الثالث اسمه سمير الفاطمي بالعودة إلى التسجيل الصوتي لمراد بن عثمان، استخرجت الرقم الهاتفي لسمير، لم تكن هناك حاجة إلى ترصده، سيأتي من تلقاء نفسه. اتصلت به قالت: إن صديقه مراد يريد أن يأخذها مع صديقة لها إلى الضيعة، لم يتردد ضربت له موعداً، حضرت بنصف ساعة قبل الموعد تفقدت المكان واستعدت لمواجهة تريد لها أن تكون كسابقتها موفقة وحاسمة، قبيل مغرب ذاك السابع من نوفمبر تم اللقاء بين فاطمة وثالث مغتصبيها في الضيعة، لمحتة من بعيد ثم خرجت إليه من بين الأشجار لوحث بيدها توقف وفتح لها باب سيارته، سألها عن صديقتها قالت: إنها ستقوده إلى حيث توجد، لم يتمكن سمير من التعرف على الفتاة التي اغتصبتها برفقة مراد وآخرون؛ كانت مساحيق التجميل قد غيبت الكثير من ملامح فاطمة، استدرجته إلى داخل الغابة، وحين توقفت السيارة تذرعت بقضاء الحاجة، نزلت في مكان قريب كانت أخفت معدات الانتقام، انهمك سمير في البحث عن شريط موسيقى في السيارة، كان يمهد لسهرة توقعها ساخنة، في تلك اللحظة باغتته

بأن ظهرت أمام نافذته، ابتسم وأنزل الزجاج. فاجأته بأن رشت على وجهه المادة ذاتها التي رشت بها وجه مراد بن عثمان، حاول أن يسترجع أنفاسه ولكنها عاجلته بأن صبت على رأسه نصف لتر من البنزين ثم أضرمت النار كان يصرخ ملء أنفاسه، كانت النار تلتهمه وهو بفعل المادة المخدرة لا يستطيع التخلص منها، كان يصرخ ألماً وكانت هي تصيح في وجهه ولكنها جبلية أنا هي التي اغتصبتموها، لم تكن موقنة أنه كان يسمعها، تركته يحترق، وعلى الزجاج الخلفي للسيارة كتبت الرقم ثلاثة على خمسة، وغادرت المكان قصدت مسجداً قريباً كانت تريد أن تراقب عن كثب ما الذي سيحدث، حضر رجال المطافئ التهمت النيران أجزاء كبيرة من السيارة، كان سمير علي قيد الحياة، لما أخرج من السيارة المحترقة ، وتم نقله على عجل إلى المستشفى، أصيب بحروق من الدرجة الثالثة مع ذلك كان في كامل وعيه حين غادرت فاطمة، كانت الشرطة القضائية بصدد التحقيق في جريمتي قتل الأولى هي مقتل مراد بن عثمان والثانية تتعلق بتسميم عصام السويدي وهي الآن أمام قضية أخرى هي قضية إحراق سمير الفاطمي.

لاحظ المحققون أن الرابط بين القضايا الثلاث، الرقم خمسة الذي يمثل القاسم المشترك لاعداد كسرية تدرجت من واحد على خمسة الى ثلاثة على خمسة مروراً بإثنين على خمسة، ومع ذلك فإنهم

لم يتمكنوا من فك لغز تلك الأعداد الكسرية التي يتركها الجاني أو الجناة في مسرح الجريمة، كان عميد الشرطة مكلفاً بالتحقيق حول تلك الجرائم التي تسلسلت، ألح على الطبيب المعالج لسمير الفاطمي أن يمكنه من الاستماع إليه علّه يُدلي بما يفيد التحقيق، أذن له الطبيب، كان سمير في وضع صحي متدهور للغاية ومع ذلك تمكن من القول إن الضحايا الثلاثة هم من مجموعة من خمسة قاموا بخطف فتاة، تناوبوا على اغتصابها وإنما تقوم بالانتقام منهم، تقرر استنطاق الباقيين من الخمسة والتزم عميد الشرطة بأن يقنع النيابة العامة بوضعهم رهن الاعتقال الاحتياطي، إما تأسيساً على اعترافاتهم أو باعتبارهم شهوداً، كان ذلك لحمايتهم، بعد يومين توفي سمير الفاطمي من جراء الحروق البليغة التي أصابته، ولم تكن المعلومات التي أفضى بها الى المحققين تكفي إلى الوصول إلى الشخصين المهددين بالانتقام، قدم سمير أسماء شخصية وأسماء أحياء يقطنون بها، مر شهران دون تسجيل أي تقدم يُذكر، ومع ذلك ظلت الشرطة يقظة، كان عميد الشرطة يؤكد أنه لن يرتاح له بال إلاّ بإلقاء القبض على الجاني أو الجناة، وكانت فاطمة تُصر على أنها لن ترتاح إلا بعد أن تنتقم ممن بقي من الخمسة، وقعت حوادث أخرى في العاصمة احتلت الأولوية في اهتمامات الشرطة، بيد أن فاطمة لم تُغير أياً من أولوياتها، كان عليها أن تصل إلى الرابع على قائمتها

وأسمه خالد المعتوق، بعد تحريات قامت بها توصلت إلى أنه كثير التردد على إحدى الحانات المعروفة، حيث كان يُنفق أموالاً طائلةً، علمت أنه لم يكن يجد أي إقبال لدي الفتيات، رأت في تلك النقطة فرصتها، تزينت وبالغت في التزين وقصدت الحانة، وجدته في حالة سكر بيّن، وكان يحاول استهالة بعض الفتيات لكنهن يُعرضن عنه، تدخلت فاطمة وجلست عند طاولته، بعد ساعتين كانت الخمرة قد حلقت به بعيداً، طلبت منه أن يرافقها إلى حيث يقضيان ما بقي من الليل، كاد يُجنّ فرحاً، ولما ركبا سيارته طلبت منه أن يذهب في جولة إلى فضاء مفتوح، اقترحت غابة لم يتردد، توغلا في الغابة وفي مكان ما توقفا، كان القمر بدرًا، جلسا على غطاء محرك السيارة، انحنت عليه كأنها تريد أن تقبله ولكنها وضعت على فمه وأنفه المادة المخدرة إياها، وسرعان ما انهار وفقد ما كان بقي لديه من وعي، أخرجت من حقيبتها حبلًا وربطت رجليه ويديه، وبحبل أمتن طوقت رقبتة، وبسرعة فائقة تسلقت شجرةً مجاورةً ولفت الحبل حول غصنٍ سميكٍ، ثم جاءت به إلى مقود السيارة، أرخت فرامل السيارة وقامت بتحريكها، ارتفع جسم خالد المعتوق وكان شبه عارٍ، لما بدأ يستعيد وعيه، أخبرته بأنها تلك الفتاة التي اغتصبها مع رفاقه.

كان معلقاً فدفعت السيارة إلى منحدرٍ صغيرٍ، فاكتملت عملية شق خالد المعتوق، كتبت على السيارة الرقم أربعة على

خمسة، ثم غادرت المكان، اهتزت مصالح الأمن للجريمة الجديدة، وكانت قد اهتدت إلى الخامس ممن اغتصبوا فاطمة. حاولت فاطمة الأقتراب منه ولكنها تفتنت إلى أنه تحت المراقبة، فقد سكنه الخوف من أن يتعرض للقتل، وانتهى به الأمر مجنوناً، لم تتمكن الشرطة من الوصول إلى الفاعل في الجرائم الأربع، وفي الحادي والثلاثين من شهر أيار عام (٢٠٠٥)م رست على مكتب عميد الشرطة رسالة كانت مكتوبة بخط واضح: سيدي أنا الفتاة التي اغتصبها أفراد العصاة، لقد نفذت فيهم حُكْمي عليهم بالأعدام، إنهم أعدموا أحلامي وحرموني من العودة إلى قرיתי وأهلي، ورغم محنتي؛ أتمت دراستي، وحين تصلكم رسالتي هذه ستكون الطائرة قد أقلعت بي إلى بلد بعيد، وفي أحشائي جنينٌ، لا أعرف من يكون أبوه من بين الخمسة، لن أعود إلى بلدي، سأظل بعيدة. ووقعت فاطمة رسالتها بالمغتصبة فاطمه..... قلب عميد الشرطة ظرف الرسالة وكانت محتومة في المطار. لله درك يا فاطمه!!.

(قصة واقعية حدثت في بلد عربي، تعمد كاتبها تغيير أسماء الأشخاص والأماكن لاعتبارات قانونية وأخلاقية).

## صانعة العُظماء

إنها قصة العالم الجليل: محمد بن إدريس والمعروف بـ «الشافعي». كان لهذا العالم الجليل أمٌ عظيمة من اليمن وهي فاطمة بنت عبد الله الأزديّة، بعد ولادته بعامين توفي أبوه، وكانت والدته تقيّة فقيهة، فأرادت لذلك الطفل أن يتعلم، ويحفظ القرآن الكريم، فكان لها ما أرادت، وحفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين، ولم يتوقف طموح هذه الأم التقيّة عند هذا الحد بل أرادت له أن يُتقن القراءة والتلاوة والتفسير، فأرسلته إلى شيوخ المسجد الحرام، فلم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى تمكن من إتقان ذلك كله.

وعندما رأت هذه الأم العظيمة حُبّه لدراسة علم الحديث، لم تتردد أبداً في إرساله إلى المدينة المنورة ليتعلم على يد أحد الأئمة المعروفين. فأبي أمّ هذه التي ترك طفلها يسافر من أجل طلب العلم؟ إنها أمّ العالم الكبير الشافعي. جزاها الله خير الجزاء.

لازم الشافعي أئمة الحديث تسعة أعوام، ولم ينقطع عنهم إلا لزيارة أمّه، أو لرحلة علمية. فأتقن علم الحديث، ثم لم ينقطع طموح هذا الفتى في طلب العلم، بعد أن زرعت تلك الأم الرائعة حُب العلم في قلبه، وكَبُرَ هذا الحب معه. فأخذ العلم من شيوخ آخرين، وتعلم اللغة العربية نثرها وشعرها فأجاد فصاحتها، وتعلم

الفروسية والرمي من إحدى القبائل تُدعى قبيلة هذيل، فقد لازمهم في باديتهم عشرة أعوام، فأَي صبرٍ هذا يا شافعي؟.

ومن أروع ما قرأت في سيرة هذا الشاب الذي أصبح من أشهر العلماء، أنه كان يُقسم ليله إلى ثلاثة أجزاء: ثلثٌ ينام فيه، وثلثٌ يكتب فيه، وثلثٌ للصلاة. وكان (كما جاء في سير أعلام النبلاء) يجتهد القرآن الكريم في كل شهر ثلاثين مرة، وفي رمضان ستين ختمة. وكان لا يدخل مكة حتى يتصدق بكل ما معه.... يا إلهي ما أعظم هذا الشاب وما أصبره على عمل الخير....!!.

أما شعره الغزير فهو يزخر بالحكم، وقد اخترت هذه الأبيات الجميلة له رحمه الله:

ندمٌ وحُزنٌ هزَّ كلَّ كياني	فانسأبَ دمعي واستكانَ لساني
النفسُ حيرى والذنوبُ كثيرةٌ	والعمرُ يمضي والحياةُ ثواني
يا نفسُ كُفِّي عن معاصيك التي	كادت تُميتُ الحسَّ في وجداني
أنسيَتِ أنَّ الموتَ آتٍ، فاجمعي	يا نفسُ من طيبٍ ومن إحسان
أنا لستُ أخشى الموتَ بل أخشى الذي	بعد المماتِ، وعُسرةُ السؤلان
ماذا أقولُ إذا فقدتُ إرادتي	وتكلمتُ بعدي يدي ولساني
ماذا... وكلُّ جوارحي تحكي بما	صنعتُ.. ولستُ بعالمِ النسيان
أخشاكُ يا شمسُ الشتاء فكيف لا	أخشى العذابَ وحُرقةَ النيران

أنا يا الهي حائرٌ فتولّني  
 أنا إن عصيتُ فهذا لأنّي غافلٌ  
 أنا إن عصيتُ فهذا لأنّي ظالمٌ  
 لكّنك الغفارُ فاغفر ما جنت  
 أشكو إليك ضالّتي ومدلّتي  
 أدعوك في صمّتي، وفي نُطقتي  
 أدعوك فاقبل دعوتي وارفع بها  
 لك في الفؤادِ مهابةً ومحبّةً  
 لأنا يا إلهي عائدٌ من وحدتي  
 من لي سواك يُجيرني ويُعيدني  
 سُدت بوجهي كلُّ أبوابِ المنى  
 ياربِ إني قد أتيتك تائباً  
 ولأنت تهدي حيرةَ الحيران  
 ولقد علمتُ عواقبَ العصيان  
 والظلمُ صنْعٌ من يدِ الإنسان  
 نفسي على نفسي فأنت الحاني  
 فارفع بفضلِكَ ما أذلّ زماني  
 وفي همسي بقلبٍ دائم الخفقان  
 شأنِي، وكن لي يا عظيمَ الشان  
 يا مَنْ بحبك يستضيءُ كياني  
 أنا هاربٌ من كثرةِ الأشجان  
 من عالمِ الأهواءِ.. والشيطان  
 فأتيتُ بابَكَ طالبَ الغفران  
 فاقبل بعفوك توبةَ الندمان

يُذكر أن أحد الملوك قد خصّص إكليلاً من الذهب، يُقدمه  
 جائزةً لأعظم عملٍ يقومُ به أحد أفراد رعيته، وذات يوم مثّل أمامه  
 شاعرٌ ورسامٌ وعالمٌ، تقدّم الشاعرُ فأنشد أمام الملك قصائد من  
 روائع شعره، وبعده جاء الرسام الذي عرض أمامه لوحاته الفنية  
 ورسومه الجميلة وخطه البديع، وأخيراً جاء العالم وهو يحمل كُتبه

ويشرحُ للملكِ بعضَ اختباراتِه وتجاربِه، ويوضِّحُ له الاكتشافاتِ  
والاختراعاتِ التي توصلَ إليها في أبحاثِه.

وفي النهايةَ ظهرتُ امرأةٌ، كلَّلَ الشيبُ شعرها فسألها الملكُ:  
ما لديكِ أيتها العجوزُ، وما عندكِ لتقدميه؟ أجابتُ: إنَّ الذينَ مثَّلوا  
أمامكِ همُ أولادي، وقد جنَّتُ لأرى مَنْ مِنْهم ينالُ الجائزةَ ويحظى  
بتاجِ الذهبِ. فهتَفَ الملكُ على الفورِ: ضعوا التاجَ على رأسِ هذه  
السيدةِ صانعةِ هؤلاءِ الرجالِ العظماءِ.

توفي هذ العالمُ الجليلُ، والإمامُ الكبيرُ، في مصرِ عامِ (١٢٠)م  
وقد تركَ لنا العديدَ من الكتبِ والمؤلَّفاتِ أشهرها كتابُ: الأمِّ،  
والرسالةِ. رحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً وجعلنا نقتفي أثره ونصبحُ مثله.  
ورزقنا اللهُ مثلَ هذهِ الأمِّ المرييةِ الفقيهةِ.

## على طريقة الجاحظ!!

بعد أن انتهى الجزائر من سنّ سكينه و تجهيز كلاليه، دخل إلى وسط الزربية، فأدركت الخرفان بحسها الفطري، أن الموت قادم لا محالة، ووقع الاختيار على أحد الخراف، وأمسك الجزائر بقرنه يسحبهُ إلى خارج الزربية، ولكنّ ذلك الكبش كان فتياً وذا بنية قوية، فتجاهل الوصية رقم واحد من دستور القطيع، وهي بالمناسبة الوصية الوحيدة في ذلك الدستور والتي تقول: حينما يقع عليك اختيار الجزائر، فلا تقاوم، فهذا لن ينفعك، بل سيغضب منك الجزائر ويُعرض حياتك وحياة أفراد القطيع للخطر.

قال هذا الكبش في نفسه: هذه وصية باطلة، ودستور غبي؛ فإذا كانت مقاومتي لن تنفعني في هذا الموقف؛ فلا أعتقد أنها ستضرنني، وانتفض ذلك الكبش، وفاجأ الجزائر واستطاع أن يهرب من بين يديه، ليدخل في وسط القطيع، فنجح في الإفلات من الموت الذي كان ينتظره، ولم يكثرث الجزائر بما حدث كثيراً، فالزربية مكتظة بالخراف، فأمسك الجزائر بخروف آخر، وجره من رجليه وخرج به من الزربية، وكان الخروف الأخير مسالماً مستسلماً، ولم يُبدِ أية مقاومة إلا صوتاً خافتاً يُودع فيه بقية القطيع.

وهكذا كانت بقية الخراف في الزربية، تنتظر الموت واحداً بعد الآخر، بينما كان الكبش الشاب يُفكر في طريقة للخروج من زربية

الموت، وإخراج بقية القطيع معه، وكانت الخراف تنظر إلى الخروف الشاب، وهو ينطح سياج الزريبة الخشبي مندهشةً من جرأته وتهوره، ولم يكن ذلك الحاجز الخشبي قوياً؛ فقد كان الجزائر يعلم أن خرافه أجبن من أن تُحاول الهرب، ونجح الكبش بكسر الحاجز، ونادى الرفاق ليهربوا ولكنهم كانوا جميعاً يشتمونه ويلعنونه ويرتعدون خوفاً من أن يكتشف الجزائر ما حدث.

واجتمعوا، وتحدث أفراد القطيع مع بعضهم في شأن ما اقترحه عليهم ذلك الكبش من الخروج من الزريبة والنجاة بأنفسهم من سكين الجزائر، وجاء القرار النهائي بالإجماع مخيباً، ولكنه ليس مفاجئاً للكبش الشجاع، وفي صباح اليوم التالي جاء الجزائر إلى الزريبة ليكمل عمله؛ فكانت المفاجأة أن سياج الزريبة مكسور، ولكن القطيع موجود داخل الزريبة ولم يهرب منه أحد، ثم كانت المفاجأة الثانية حينما رأى في وسط الزريبة خروفاً ميتاً.. وكان جسده مشخناً بالجراح وكأنه تعرض للنطح من العشرات!!

نظرت الخراف بالاعتزاز والفخر بما فعلته مع ذلك الخروف (المتمرد)، الذي حاول أن يُفسد علاقة الجزائر بالقطيع، ويُعرض حياتهم للخطر، وكانت سعادة الجزائر أكبر من أن توصف.. حتى إنه صار يُحدث القطيع بكلمات الإعجاب والثناء: أيها القطيع، كم أفتخر بكم وكم يزيد إحترامي لكم في كل مرة أتعامل معكم، أيتها

الخراف الجميلة: لدي خبرٌ سعيدٌ سيسرُكم جميعاً، وذلك تقديرًا مني لتعاونكم المنقطع النظير، فأنا من بداية هذا الصباح لن أقدم على سحب أي واحدٍ منكم إلى المسلخ بالقوة، كما كنت أفعلُ من قبل، فقد اكتشفتُ أنني كنت قاسياً عليكم، وأن ذلك يجرُحُ كرامتكم، فكل ما عليكم أن تفعلوه يا خرافي الأعزاء أن تنظروا إلى تلك السكين المعلقة على باب المسلخ، فإذا لم تروها معلقة فهذا يعني أنني أنتظرُكم داخل المسلخ، فلتأتوا الواحدُ تلو الآخر، وتجنبوا التضاحم، وفي الختام لا أنسى أن أشيد بدستوركم العظيم: لا.. للمقاومة!!.

هذه القصة التعبيرية على لسان الحيوان وعلى طريقة الجاحظ، ذكرتني بأخرى، لكنّها مع البشر، حيث هجم جنودُ الأعداء على قريةٍ بسيطةٍ مسالمةٍ، وأخرجوا رجالها عنوةً منها تحت تهديد السلاح وأودعوه المعتقل، ولم يبقَ فيها إلاّ النساء، وبعد ساعاتٍ عاد نفس الجنود، وبدأوا يتحرشون بالنساء، وتحت تهديد السلاح رضخن للمطلوب إلاّ أمٌ حسن، تلك الحُرّة الأبية التي لم تستسلم إطلاقاً، وقاومت بكل ما أوتيت من قوةٍ، دفاعاً عن شرفها، وصاحبُ الحق المؤمن بحقه تتولدُ لديه قدرةٌ وقوةٌ لم يكن يعهدُها في جسمه من قبل، وانتصر الحق وقتلت الجندي.

خرج الجنودُ من القرية بعد أن قضوا وطهرهم، وخرجت النساء الى الطرقات، كلٌ واحدةٍ تتكلم عن ما حدث لها إلاّ أم

حسن!!، قالت: أنا قتلته وها هو جثةٌ هامدةٌ في بيتي، نعم قتلت اللعين، فلما رأيته جثةً هامدةً، ممدداً، مهشّم الوجه ملطخاً بدمائه، نظرن بوجوه بعضهن، لغةً العيون تُظهر بعض الندم وخشيتهن الفضيحة أمام أزواجهن من فعل البطلة أم حسن، وبسرعةٍ قررن قتل أم حسن والتخلص منها.

قتل الشرف والكبرياء الذي لم يُحافظن عليه؛ حتى لا تُكشَف نذالتهن وجبنهن، تعاونت كل النساء على صاحبةِ الهمةِ والشرف الرفيع، ونطحنها بقرون الغدر والخيانة حتى ماتت تحت أقدامهن. أم حسن، هذا النموذج الأبى دخل سجل الخالدين بشرفه وعفافه وغيرته على وطنه، وفاز بالعُظمى في الدنيا والآخرة.

هذا النموذج الممتد هو الذي سيُحيي الأمة، رغم ندرته في هذه الأيام الصعبة والليالي الحالكة، أما الكثرة الكاثرة من الذكور والإناث؛ فهم زبّدٌ سرعان ما يندرس ويتلاشى بلا أثر، لأنهم انقادوا واستسلموا، أكلوا وشربوا وتكاثروا بلا هدف، لا يُطبقون النماذج الحرة فيلحقونهم ويضيقون عليهم لأنهم بصراحة وبساطة لا يُريدون مقاومةً أبداً!

## عندما يموت الضمير

رأيت صديقي جالساً على كرسيه المطل على حديقة صغيرة، كرسيه هزاز خشبي، واضعاً رجليه على طاولة، ويبدو من وجهه أنه مهموم كعادته، قلت له ما بك مهموماً؟ هل سمعت هذا الصباح خبراً يزعجك؟! زفر زفرة متوسطة ثم قال: تذكرتُ حال الأمة الإسلامية في هذا الزمن وما حل بها فأحزنني وضعها!!، فقلت له وما السبب يا صديقي الذي تعتقده في قرارة نفسك؟ فقال لي أنه سببٌ واحدٌ فقط ليس له ثانٍ، إنه موت الضمير!!.

قلت وكيف؟ لم أفهم هل تحاول أن تبرر سلوكيات المذنب وتتهرب من الواقع؟!، فقال: لا بالعكس طالما بحثت عن مخرج لأمتنا، إنه يا صاحبي موت الضمير عندها نفهم ما يدور في واقعنا حيث: يُستباح الدم، ويجوع الصغير، ويُعق الوالدان، ويطعنك بالظهر صديق، وعزيز وتنتهك حتى حقوق الأموات، ويتحول أقرب الناس إليك إلى شيطان على هيئة إنسان، يُصبح ناكراً لمعروفك، وناسياً لجميلك ويُمسي كافراً لعشرتك!!.

حينما يموت الضمير يا صديقي ينعدم الأمن وتنعدم الأحاسيس الإنسانية فتتلاشى السعادة وتنعدم المودة وينسى الناس شيئاً اسمه الأخلاق وتنعدم المحبة وتموت الإنسانية.

ويبقى وحوش على هيئة بشر، ينهش بعضها بعضاً.  
عندما يموت الضمير يا صديقي ينعدم الخوف من الله، فيؤكل الحرام  
ويُظلم المسكين ويُقتل المستأمن ويُروع الآمن ويُستحل كل ما هو منكر!  
وتصبح الجريمة متعة! وتضيع الحقوق، ويصبح كما قال الشاعر:

قتل امرء في غابة      جريمة لا تغتفر

قتل شعب كامل      مسألة فيها نظر

حينما يموت الضمير يا صديقي لا يُستنكر الاحتفاء بالظالم  
ومعاونته على كسر قلب المظلوم!، تموت المثل والأخلاق وتضيع  
القيم ويكثر الفساد في شتى المجالات، ويصبح مؤسسة وثقافة.

فكيف يرضى الفتى بالذل يحملُهُ      والذل تأنفهُ العبدانُ والخدمُ!؟

حينما يموت الضمير يا صديقي تصمت المنابر عن قول الحق وتغيب  
المروءة والكرامة، وتكون حياتك من غير روح، و ينتشر العقوق وتلد  
الامة ربتها، وتصبح القلوب متوحشة والوجوه عابسة والألفاظ جامدة.  
يُصبح الظلم هو العنوان الرئيسي للحياة وتنصرم الإنسانية  
والمخطئ هو صاحب الكلمة الصحيحة مع الاسف، ويؤمن الخائن  
ويُحون الأمين، أما الضمير المستتر فيموت مستتراً، وتسقط الأقعنة،  
ويصبح الحرام حلالاً ودم البيت الواحد مباحا ولا مكان لشرف أو  
لنخوة.

وتحرق الشام وتمزق العراق واليمن، وتُهمش القدس، وتبكي  
العذراء سقوط الإنسانية والمروءة.

حينما يموت الضمير يا صاحبي تتحدث البغايا عن الظهر  
وترى من البشر أفعالاً أبشع من أفعال الحيوان تتأكد وقتها أن طريقك  
صار لونه أسوداً كالظلام وحياتك لم يعد لها طعم، وتتوقع كل شيء.  
وتسوء الأفعال، ويقتل الأطفال ويهاجر المظلوم، ولا يبقى من  
الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، المساجد مزخرفة  
وعامرة بكل شيءٍ لكنها خراب من الهدى وجوهر الدين،  
علمائها وخطبائها علماء سلطان، ويعود عصر الجاهلية بلباس  
جديد، وطرق حديثة مختلفة لوأد البنات، وهجر الأخوات،  
نعيش الكبت وتشتعل الحروب على المسلمين، وتتحول الحياة إلى  
شعلة من الهوس بالمحرمات؛ تحرق كل الجمال والنقاء بداخلنا..  
ويكثر الظلم، وينتشر الغدر بين الأصدقاء وتسرق مجهودات  
الآخرين.

فابتسمت وقلت له لماذا كل هذا التشاؤم يا صديقي؟ نحن  
مسلمون نؤمن بالقضاء والقدر والصبر مفتاح الفرج، والليل  
الكاتم يعقبه صبح سافر.

والشدة يتبعها فرج، والنور يأتي بعد الظلام، والعسر يعقبه  
يسر، قال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: « ليلغن هذا الأمر ما بلغ

الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» (رواه أحمد).

فالدين يا صاحبي منصور ومحفوظ من رب العزة، والمطلوب منا أن نكون من جنوده العاملين وحزبه المفلحين، والله تبارك وتعالى لن يسألنا عن النتيجة ولكنه سيحاسبنا على العمل، فهيا يا صاحبي، أنفض عن وجهك غبار اليأس والقنوط، واعمل بما يرضي الله وخالط الناس وعاملهم بالحسنى.

فاستنار وجه صاحبي وابتسم وقال: أنا موقن بالفرج بإذن الله، فاللهم اغفر لنا تقصيرنا واجبر كسرنا، وتلا قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

## فرعونُ منك تعلمتُ!

أتى شيخ إلى مصر وزار الأهرامات وعند زيارته لمومياء فرعون سمع أحد الزائرين يتكلم مع المومياء كلمات فجلس منصتاً له فسمعه يقول: فرعون منك تعلمت، فرعون علمتني عشر حكم. **الأولى:** منك تعلمت أن قدر الله نافذ لا محالة، ذبحت آلاف الأطفال كي لا يأتي موسى، وعندما جاء رببته في بيتك!.

**الثانية:** منك تعلمت أن القلوب بيد الله لا بيد الناس، فعندما حرمت موسى من قلب أمه رقق الله عليه قلب زوجتك! أردت أن تحرمه أمه فأعطاه الله فوق أمه أما أخرى!.

**الثالثة:** منك تعلمت أنه ليس بإمكان أحد أن يُفسد أحداً، ففي القصر الذي كنت تقول فيه: «أنا ربكم الأعلى»، كانت آسيا في الغرفة المجاورة تقول: سبحان ربي الأعلى!.

**الرابعة:** منك تعلمت أن البيوت أسرار، وأن بإمكان امرأة وزوجها أن يعيشا تحت سقف واحد ويكونا غريبين، فالذي يجمع بين الزوجين ذات القلب لا ذات السقف!.

**الخامسة:** منك تعلمت أن جيشاً عظيماً يعجز عن رد مؤمن عن إيمانه، فلا السحرة أربهم جيشك، ولا الماشطة أخافها زيتك المغلي!.

**السادسة:** منك تعلمت أن الدم لا يصير ماءً، وأن أختاً صغيرة أعادت أختها إلى أمه حين قالت «هل أدلكم»؟! وأن أختاً كان نبيلاً إلى

الحد الذي لم يتحرج فيه أن يعترف أن أخاه أفصح منه لساناً!.

**السابعة:** منك تعلمت أن العبيد يصنعون جلادهم بأيديهم! وأنه لم يكن بإمكانك أن تمتطي ظهور قومك لولا أنهم أناخوا وأركبوك!.

**الثامنة:** منك تعلمت أن الله إذا أراد أن ينصر عبداً نصره بعضا لم تكن صالحة من قبل إلا ليتكىء عليها، ويهش بها على غنمه، وأنه إذا أراد أن يهزم عبداً هزمه وهو في وسط جيشه!.

**التاسعة:** منك تعلمت أن كل ما في الأرض أسباب تجري على الناس ولا تجري على الله! وأن النهر الذي من المفترض أن يُغرق الأطفال صار ساعي بريد وحمل إليك طرداً فيه طفل كنت تبحث عنه! وأن البحر الذي لا يُعبر إلا بالسفن عبره القوم مشياً على الأقدام بعد أن صار طريقاً يبساً!

**العاشرة:** منك تعلمت أن كل ما في الأرض جنّد من جنود الله، وأنه سبحانه هو من يختار سلاح المعركة، وأنك حين جئت بجيشك كان قادراً على أن يأتي لك بجيشٍ مثله، ولكنك أهون على الله من هذا، فقتلك بالماء الذي جعل منه كل شيء حياً! سبحانه الله الواحد القهار!.

## زوجة فرعون :

هذه الزوجة الصالحة تدعى آسيا بنت مزاحم، وهي سيدة عظيمة مؤمنة صالحة، تبرأت من أفعال فرعون وأعماله التي يندى لها الجبين، على الرغم من أنها زوجته التي يجب أن تتبعه في الصغيرة والكبيرة، وهي تحظى بأهمية ومكانة عظيمة في ديننا الحنيف، فهي من أعظم نساء العالمين الأربعة الذين أخبر عنهم رسول الله محمد ﷺ، إلى جانب أخواتها السيدة مريم العذراء بنت عمران، والسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

إضافة إلى بنت الرسول فاطمة الزهراء رضي الله عنها، إضافة إلى هذا فقد ذكرت في مواضع مختلفة من القرآن الكريم وقد سألت ربها جل في علاه أن يرزقها بيتاً في الجنة، وهذا لم يأت من فراغ فإيمانها في ظل الظروف التي كانت تعيش فيها، في نفس البيت مع عدو الله، جعلها تستحق هذه المكانة.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى ﴾ (التحريم: ١١).

## ماشطة بنت فرعون :

لم يحفظ التاريخ اسمها، لكنه حفظ فعلها.. امرأة صالحة كانت تعيش هي وزوجها في ظل مُلك فرعون، زوجها مقرب من فرعون، وهي خادمة ومربية لبنات فرعون، فمنّ الله عليهما بالإيمان، فلم يلبث زوجها أن علم فرعون بإيانه فقتله، فلم تزل الزوجة تعمل في بيت فرعون تمشط بناته، وتنفق على أولادها الخمسة، تطعمهم كما تطعم الطير أفرانها.

فبينما هي تمشط إبنة فرعون يوماً، إذ وقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: الله أبي؟، فصاحت الماشطة بابنة فرعون: كلا، بل الله، ربي وربك ورب أبيك، فتعجبت البنت أن يُعبد غير أبيها، ثم أخبرت أباه بذلك، فعجب أن يوجد في قصره من يعبد غيره، فدعاها وقال لها: من ربك؟ قالت: ربي وربك الله، فأمرها بالرجوع عن دينها وحبسها وضربها، فلم ترجع عن دينها.

عندها أمر فرعون بقدر من نحاس فمُلئت بالزيت ثم أُحمي حتى غلا، وأوقفها أمام القدر، فلما رأت العذاب أيقنت أنها هي نفس واحدة تخرج وتلقى الله تعالى، فعلم فرعون أن أحب الناس إليها أولادها الخمسة، الأيتام الذين تكدح لهم وتطعمهم، فأراد أن يزيد في عذابها، فأحضر الأطفال الخمسة تدور أعينهم ولا يدرون إلى أين يساقون، فلما رأوا أمهم تعلقوا بها يبكون، فانكبت عليهم

تقبلهم وتشمهم وتبكي، وأخذت أصغرهم وضمته إلى صدرها وألقته ثديها، فلما رأى فرعون هذا المنظر، أمر بأكبرهم، فجره الجنود ودفعوه إلى الزيت المغلي، والگلام يصيح بأمه ويستغيث، ويسترحم الجنود، ويتوسل إلى فرعون، ويجاول الفكاك والهرب، وينادي إخوته الصغار، ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين وهم يصفعونه ويدفعونه، وأمه تنظر إليه، وتودّعه.

فما هي إلا لحظات حتى ألقى الصغير في الزيت والأم تبكي وتنظر وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة، حتى إذا ذاب لحمه من على جسمه النحيل وطفحت عظامه بيضاء فوق الزيت، نظر إليها فرعون وأمرها بالكفر بالله فأبت عليه ذلك، فغضب فرعون وأمر بولدها الثاني، فسُحب من عند أمه وهو يبكي ويستغيث، فما هي إلا لحظات حتى ألقى في الزيت، وهي تنظر إليه حتى طفحت عظامه بيضاء واختلطت بعظام أخيه، والأم ثابتة على دينها موقنة بلقاء ربها.

ثم أمر فرعون بالولد الثالث فسُحب وقرب إلى القدر المغلي ثم حُمل وغُيب في الزيت وفُعل به ما فُعل بأخويه، والأم ثابتة على دينها، فأمر فرعون أن يُطرح الرابع في الزيت فأقبل الجنود إليه، وكان صغيراً قد تعلق بثوب أمه، فلما جذبه الجنود بكى وانطرح على قدمي أمه ودموعه تجري على رجليها، وهي تحاول أن تحمله

مع أخيه، تحاول أن تودعه وتقبله وتشمه قبل أن يفارقها فحالوا بينه وبينها وحملوه من يديه الصغيرتين وهو يبكي ويستغيث، ويتوسل بكلمات غير مفهومة وهم لا يرحمونه، وما هي إلا لحظات حتى غرق في الزيت المغلي وغاب الجسد وانقطع الصوت وشمّت الأم رائحة اللحم وعلت عظامه الصغيرة بيضاء فوق الزيت يفور بها، تنظر الأم إلى عظامه وقد رحل عنها إلى دار أخرى وهي تبكي وتتقطع لفراقه، طالما ضمته إلى صدرها وأرضعته من ثديها، طالما سهرت لسهره وبكت لبكائه، كم ليلة بات في حجرها ولعب بشعرها، كم قربت منه ألعابه وألبسته ثيابه فجاهدت نفسها أن تتجلد وتتماسك.

ثم التفتوا إليها وتدافعوا عليها، وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها، وكان قد التقم ثديها، فلما انتزع منها صرخ الصغير وبكت المسكينة، فلما رأى الله تعالى ذلها وانكسارها وفجيعتها بولدها، أنطق الصبي في مهده وقال لها: يا أماه اصبري فإنك على الحق، ثم انقطع صوته عنها وغُيَّب في القدر مع إخوته، أُلقي في الزيت وفي فمه بقايا من حليبها وفي يده شعرة من شعرها وعلى أثوابه بقية من دمعها.

وذهب الأولاد الخمسة وها هي عظامهم تلوح بالقدر ولحمهم يفور به الزيت، تنظر المسكينة إلى هذه العظام الصغيرة، عظام من؟! إنهم أولادها الذين طالما ملأوا عليها البيت ضحكاً وسروراً، إنهم فلذات كبدها وعصارة قلبها، الذين لما فارقوها

وكان قلبها أُخرج من صدرها، طالما ركضوا إليها، وارتموا بين يديها وضمّتهم إلى صدرها وألبستهم ثيابهم بيدها ومسحت دموعهم بأصابعها ثم هاهم يُنتزعون من بين يديها ويُقتلون أمام ناظرها، وتركوها وحيدة وتولوا عنها.

كانت تستطيع أن تحول بينهم وبين هذا العذاب بكلمة كفر تُسمعها لفرعون لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى، ثم لما لم يبق إلا هي أقبلوا إليها كالكلاب الضارية المسعورة ودفعوها إلى القدر، فلما حملوها ليقذفوها في الزيت، نظرت إلى عظام أولادها، فتذكرت اجتماعها معهم في الحياة، فالتفتت إلى فرعون وقالت: لي إليك حاجة، فصاح بها وقال: ما حاجتك؟ فقالت: أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها في قبر واحد، ثم أغمضت عينيها وألقيت في القدر، واحترق جسدها، وطفئت عظامها.

فالله درها..! ما أعظم ثباتها..! وأكثر ثوابها.. ولقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء شيئاً من نعيمها، فحدّث به أصحابه وقال لهم فيما رواه البيهقي: «لما أُسري بي مرت بي رائحة طيبة، قلت: ما هذه الرائحة؟ ف قيل لي: هذه ماشطة بنت فرعون وأولادها».

## نصف ضمير!!

في مطلع الخمسينيات قررت الولايات المتحدة الأمريكية التفاوض مع الثوار الفيتناميين، فطلبت منهم أن يرسلوا وفداً يمثلهم إلى باريس للتباحث حول وقف الحرب، بعد أن نال ثوار فيتنام من الجنود الأمريكيان مقتلاً. وفعلاً أرسل الثوار وفداً مكوناً من أربعة؛ هما امرأتان ورجلان.

كانت المخابرات الأمريكية قد جهزت لهذا الوفد إقامةً في أرقى فنادق باريس، وجهزت لهم كل أسباب الراحة والمتعة، وكل ما لذ وطاب من أصناف الطعام والحلوى والمشروبات.

عندما وصل الوفد الفيتنامي إلى مدينة باريس ونزل في مطار أورلي؛ كانت هناك سيارات فارهة تنتظرهم، لتقل الوفد إلى مكان إقامته، ولكن الوفد رفض ركوب السيارات وطلب مغادرة المطار بطريقته الخاصة؛ وأنه سيحضر الاجتماع في الوقت المحدد.

استغرب الوفد الأمريكي هذا التصرف، وسأل رئيس الوفد:

أين ستقيمون إذن؟

فأجاب: سنقيم عند طالب فيتنامي في أحد ضواحي باريس.

فتعجب الأمريكي وقال له:

قد جهزنا لكم إقامة مريحة في فندق فخم.

فأجاب الفيتنامي نحن كنا نقاتلكم ونقيم في الجبال، وننام

على الصخور، ونأكل الحشائش.

فلو تغيرت علينا طبيعتنا، فإننا نخاف أن تتغير معها ضمائرنا !! فدعونا وشأننا، وفعلاً ذهب الوفد وشأنه، وأقام في منزل الطالب الفيتنامي، وحضروا الاجتماعات بانتظام وفي المواعيد المحددة، لتنعقد خلالها مباحثات أدت لجلاء المحتل الأمريكي عن كل فيتنام !! أحسن هولاء صنعاً، حيث تجلت مواظمتهم بأبهى صورها، وحُسن انتمائهم وإخلاصهم لقضيتهم، فمن يبيع ضميره يبيع وطنه، والإنسان يستطيع أن يعيش بصمامات يُركبها الاطباء في قلبه، ويمكن أن يعيش بنصف رئة، لكنه لا يستطيع أن يعيش بنصف ضمير!!.

ألا ليت قومي يعلمون!، يتنافسون على السفريات الخارجية لما يترتب عليها من مردود مادي وسياحة وما يتبعها من ممارسات تغضب وجه الكريم-إلا من عصم ربي-، وفوق هذا لا يحضرون الاجتماعات وإذا حضر واينامون!! لأنهم يحيون الليل على طريقتهم!!.

ليس هذا غريباً على الفيتناميين، فقاهر الأقوياء؛ قاهر الفرنسيين والأمريكيين منهم، كان عقلية فذة في تدويخ اعدائه والحق ما شهدت به الأعداء، ولعل من أجمل ما قاله الجنرال «جياب»: «كل محاولة لمواجهة شعب أمة أخرى وكل مؤامرة تهدف إلى التعدي على أمة وعلى سيادتها واستقلالها ستُهزم لا محالة».

في عام (١٩٩٥)م، في ذكرى مرور عشرين عاماً على نهاية حرب فيتنام، التقى روبرت مكنهارا وزير الدفاع الأمريكي أثناء الحرب في هانوي مع القائد الأسطورة لقوات التحرير الفيتنامية الجنرال «جياب». لقاء بين قائد مهزوم وقائد منتصر.

في اللقاء، أعطى الجنرال جياب لروبرت مكنهارا درساً بسيطاً في كلمات قليلة، درساً في تفسير النصر الفيتنامي والهزيمة الأمريكية. قال له ببساطة: «.. أمريكا دخلت الحرب دون أن تعرف أي شيء عن تاريخ فيتنام والشعب الفيتنامي، لم تعرف أي شيء عن ثقافة الفيتناميين وروحهم الوطنية والقتالية ضد موجات الغزاة الأجانب». مكنهارا لم يجد ما يقوله سوى أن يوافق. لكن بالطبع تأخر فهمه لهذا الدرس عشرين عاماً كاملة بعد الهزيمة.

أمريكا دخلت الحرب بمزيج من الجهل المريع بفيتنام وتاريخ وحضارة شعبها، دخلت الحرب وهي لا تعرف إلا لغة القوة الباطشة والذبح والإبادة، وظنت أن هذا وحده كفيلاً بهزيمة أعدائهما. ظنت أمريكا أن الحرب ما هي إلا مواجهة بين قوة عسكرية أمريكية ضاربة تملك أحدث ما في العالم من عتاد وأسلحة دمار، وقوة عسكرية متواضعة يملكها المقاتلون الفيتناميون. لم تدرك أمريكا أن الحرب هي في جوهرها صراع بين إرادتين، إرادة قوة احتلال استعمارية باطشة، وإرادة شعب له تاريخ وحضارة وتدفعه روح وطنية جبارة

من أجل تحرير وطنه.

ومما يُذكر أنّ هذا الجنرال اختفى عن الإعلام فترة من الزمن، فبحث الصحفيون عنه حتى وجدوه في روضة أطفال يُلقبها عليهم درساً، فتعجب الصحفيون من هذا وقالوا له: قاهر الأقوياء ملء السمع والبصر ويدرس في روضة أطفال؟!، فابتسم وقال: «انتصرت على أعدائي في جولة؛ ولأنّ نصر عليهم دوماً لا بد من تربية جيلٍ كاملٍ على ذلك».

ما حصل في فيتنام؛ حصل وسيحصل في فلسطين، فأمرّيكيا هي أمرّيكيا، لم تتعظ ولم تتغير ولم تتبدل، عنجهية وقانون غاب، وازدواجية في المعايير لا حد لها، ولم يبقَ حتى تُهزم هي ومن معها إلاّ ظهور قائدٍ مسلمٍ قاهرٍ للأقوياء، وعسى أن يكون ذلك قريباً، شريطة أن نعتني برياض الأطفال والمدارس، ناهيك عن الجامعات، وأعدنا القوة الحقيقية بأنواعها ومستلزماتها.

## لمثل هذا رببتك!

رسالة عظيمة من أم أعظم إلى ابنها، شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد أرسل ابن تيمية رحمه الله رسالةً لأمةً «ست النعم بنت عبد الرحمن الحرائية»، حيث كان لها المكانة العظيمة في نفسه رحمه الله، يعتذر لها فيها عن بُعدِه عنها لمدة، وإقامته في مصر لبعض شؤون الدين والعلم والدعوة إلى الله، فلما وصلتها الرسالة ردت عليه أمه فقالت: ولدي الحبيب الرضيّ «أحمد بن تيمية»، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فإنه والله لمثل هذا رببتك، ولخدمة الإسلام والمسلمين نذرتك، وعلى شرائع الدين علمتك، ولا تظننَّ يا ولدي أن قُربك مني أحبُّ إليّ من قُربك من دينك وخدمتك للإسلام والمسلمين في شتى الأمصار. بل يا ولدي إنَّ غاية رضائي عليك لا يكون إلا بقدر ما تُقدمه لدينك وللمسلمين، وإني يا ولدي لن أسألك غداً أمام الله عن بُعدك عني، لأنني أعلم أين وفيهم أنت!، ولكن يا أحمد سأسألك أمام الله وأحاسبك إن قصّرت في خدمة دين الله وخدمة أتباعه من إخوانك المسلمين.

رضي الله عنك، وأنار بالخير دربك، وسدد خطاك، وجمعني الله وإياك تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

\* فمن هو ابن تيمية يا تُرى؟! \*

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور بابن تيمية، فقيه وعالم مسلم مجتهد شديد التأثير بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد تميزت أعماله باعتماد نص الكتاب والحديث وترجيحه على العقل والقياس، وربط قيام الدين بالإمارة وعدّها من أعظم واجبات الدين.

إن أسرة ابن تيمية كانت إحدى أسر مدينة حران (شمال العراق) المشتهرة بالعلم والدين وكانت هذه الأسرة منذ أن عُرف تاريخها، حنبلية المذهب وتترجمه في تلك الديار، وعمل أكثر رجالها العلماء بالتدريس والإفتاء والتأليف.

عُرفت أسرة ابن تيمية بقوة الذاكرة وكثرة الحفظ وسرعته، فقد كان أبوه وجدّه أيضاً قويي الذاكرة، ولكن ابن تيمية سبق أسرته في هذا الأمر، فكان من أكابر حُفّاظ عصره، وصاحب ذاكرة قوية، سريعة الحفظ.

وقد نشأ شيخ الإسلام في تصوف تام وعفاف وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، فيتكلم وينظر ويُفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم؛ فأفتى وله تسع عشرة سنة؛ بل أقل. وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال بالعلم. ومات والده، فدرّس

بعده وقام بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر، وبعَدَ صيته في العالم، فطبق ذكره الآفاق.

إن العصر الذي ولد فيه ابن تيمية عصرٌ يتسم بحوادث خطيرة، وقلقل كثيرة، وهو عصر ذو أهمية كبيرة من النواحي السياسية والاجتماعية الخُلقية والعلمية والدينية، واتسمت الحالة السياسية في عصر ابن تيمية بالاضطراب والتفكك، فقد انقسمت البلدان الإسلامية إلى عدة دويلات وممالك صغيرة.

ورغم ما سبق فإن ذلك العصر شهد نهضة علمية كبيرة بالرغم من الأحداث الحاصلة ومن انعدام الأمن والأمان واضطراب الأحوال. وظهر في ذلك العصر علماء وأئمة كبار.

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، ورحم أمه «ست النعم» على صبرها وحُسن تربيتها لابنها البارِّ. وجمعنا بهم في عليين.

## لا يُفتَى ومالكٌ في المدينة

قول مشهورٌ، يُذكر في المجالس كثيراً وفي مناسبات مختلفة، يذكره أهل العلم وغيرهم، فما أصله ومناسبته.

هذه القصة أوردتها ابن حجر الهيتمي الشافعي في تحفة المحتاج، وهي قصةٌ عجيبةٌ عن سيدة توفيت في المدينة المنورة ووجيء لها بمغسلة لتغسلها، ولما وُضع الجثمان ليُغسل، وحين صُب الماء من المغسلة على جسد الميتة ذكرتها المغسلة بسوء وقالت: كثيراً ما زنت، فالتصقت يد المغسلة بجسم الميتة، بحيث أصبحت لا تقو على تحريك يدها، فأغلقت الباب حتى لا يراها أحد وهي على هذه الحال.

كان أهل الميتة خارج الحجرة ينتظرون تكفين الجثة، فقالوا لها: أنحضر الكفن، فقالت لهم: مهلاً، وكرروا عليها القول فقالت: مهلاً، وبعد ذلك دخلت إحدى النساء فهاها ما رأت، فأخذوا رأي العلماء في ما يفعلون، انقطع يد المغسلة لندفن الميتة؟، لأن دفن الميت أمرٌ واجب، وقال بعضهم: بل نقطع قطعةً من جسد الميتة لنخلص المغسلة، لأن الحي أولى من الميت، واحتدم الخلاف وكلٌ هذا بسبب كلمة قيلت ولكنها كلمة ثقيلة،! قال فيها الرسول ﷺ "إن قذف المحصنة يهدم عمل مئة سنة" (رواه الطبراني).

أما علماء المدينة فقالوا كيف نختلف وبيننا الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، فذهبوا إليه وسألوه، وإذا بالإمام يأتي على جناح

السرعة، وبينه وبين المغسلة والميتة باب، وسألها من وراء حجاب وقال لها: ماذا قلتِ في حق الميتة؟ قالت المغسلة: يا إمام رميتها بالزنا. فقال الإمام مالك رضي الله عنه: تدخل بعض النسوة على المغسلة وتجلبدها ثمانين جلدة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور ٤).

فدخلت النساء وجلدن المرأة المغسلة القاذفة، وبعد تمام الثمانين رفعت يدها عن جسد الميتة. ومن هنا قيل لا يُفتى ومالك في المدينة. الشاهد في القصة: أن الله سبحانه وتعالى دافع عن الميتة وأخذ حقها من التي لا زالت على قيد الحياة ونفذ الحكم الشرعي، لأن الله سبحانه تولى أمرها فهي بين يديه عز وجل، وليس من شأن الأحياء التدخل في الخصوصية بين العبد وربّه، فقد يكون الله عفا عنها فيما لو كان قد حصل ما أدّعت به. فكيف بك أيها الإنسان يوم ترى نفسك في خلوة مع الميت تغتابه وتقذفه بأبشع الأوصاف وهو بين يدي الله. وما بالك تطلق الأوصاف والكلمات بحق الأموات والأحياء جزافاً، أليست أفعالنا الآن تجاه الآخرين قد تجاوزت حد الإفراط في الغيبة وأكل لحوم البشر؟؟ وهل تعتقد أن الله غافل عما يفعل الظالمون؟؟.

## كل بيت حكمة

كل بيت في هذه القصيدة يُعادل كتاباً، هي إحدى القصائد الخالدة للشاعر صالح بن عبدالقدوس أحد شعراء الدولة العباسية.

فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ  
وَأَزْهَدَ فَعُمْرُكَ مَرَّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ  
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ  
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ  
دَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصَّبَا  
وَإِذْ كَرَّ مَنَاقِشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَهُ  
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكَانُ حِينَ نَسِيَتَهُ  
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ  
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعْتَهَا  
سَرَّ دُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَّبُ  
وَعُرُورٌ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا  
دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ  
وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا  
أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ  
وَجَمِيعُ مَا خَلَفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ  
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ  
تَبَّالِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا  
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ  
فَاسْمِعْ هُدَيْتَ نَصِيحَةً أَوْ لَا كَهَا  
بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مُجْرَبُ  
صَحِبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَبْرَأً  
وَرَأَى الْأُمُورَ بِمَا تَوُوبُ وَتَعُقُبُ  
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوَّونَ فَإِنَّهُ  
مَا زَالَ قَدِمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ  
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غَضَبَاتِهَا  
مَضْضٌ يُنْذِلُ لَهُ الْأَعْزُ الْأَتْجَبُ  
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفْرُ  
إِنْ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ

واعمل بطاعته تنل منه الرضا  
واقنع ففي بعض القناعة راحة  
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة  
وابداً عدوك بالتحية ولتكن  
واحذره إن لاقيته متبسمًا  
إن العدو وإن تقادم عهده  
وإذا الصديق لقيته متملقًا  
لا خير في ودّ امريء متملق  
يلقاك يحلف أنه بك واثق  
يعطيك من طرف اللسان حلاوة  
وصيل الكرام وإن رموك بجفوة  
واحترق قرينك واصطنعه تفاخرًا  
واخفض جناحك للأقارب كلهم  
ودع الكذب فلا يكن لك صاحبًا  
وزن الكلام إذا نظقت ولا تكن  
واحفظ لسانك واحترز من لفظه  
والسر فاكتمه ولا تنطق به  
إن القلوب إذا تنافر ودها  
وكذاك سر المرء إن لم يطوه

إن المطيع له لديه مقرب  
والياس مما فات فهو المطلب  
فلقد كسي ثوب المذلة أشعب  
منه زمانك خائفًا تترقب  
فالليث يبدو نابه إذ يغضب  
فالحقد باق في الصدور مغيب  
فهو العدو وحقه يتجنب  
حلو اللسان وقلبه يتلهب  
وإذا توارى عنك فهو العقب  
ويروغ منك كما يروغ الثعلب  
فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب  
إن القرين إلى المقارن ينسب  
بتدليل واسمح لهم إن أذنبوا  
إن الكذب يشين حراً يصحب  
ثرثارة في كل نادٍ تحطب  
فالمرء يسلم باللسان ويعطب  
فهو الأسير لديك إذ لا ينسب  
شبه الزجاجة كسرها لا يشعب  
نشرته السنة تزيد وتكذب

لا تحرَّصَنَّ فالحرَّصُ ليس بزائدٍ  
ويظلُّ ملهوفاً يرومُ تحيلاً  
كم عاجزٍ في الناسِ يأتي رزقُهُ  
وارعُ الأمانةِ والخيانةِ فاجتنبُ  
وإذا أصابك نكبةٌ فاصبرُ لها  
وإذا رُميتَ من الزمانِ بريئةٍ  
فاضرعْ لربِّك إنه أدنى لمن  
كُن ما استطعتَ عن الأنامِ بمعزلٍ  
واحذرْ مُصاحبةَ اللئيمِ فإنه  
واحذرْ من المظلومِ سَهماً صائباً  
وإذا رأيتَ الرِّزقَ عزَّ ببلدةٍ  
فارحلْ فأرضِ اللهَ واسعةَ الفضا  
فلقد نصحتك إن قبلتَ نصيحتي

في الرِّزقِ بل يشقى الحريصُ ويتعبُ  
والرِّزقُ ليس بحيلةٍ يستجلبُ  
رغداً ويحرمُ كيِّسَ ويخيِّبُ  
واعدِلْ ولا تظلمْ يطبُّ لك مكسبُ  
من ذا رأيتَ مسلماً لا يُنكبُ  
أونالك الأمرُ الأشقُّ الأصعبُ  
يدعوهُ من حبلِ الوريدِ وأقربُ  
إنَّ الكثيرَ من الوريِّ لا يُصحبُ  
يُعدي كما يُعدي الصحيحُ الأجرُ  
واعلمْ بأنَّ دعاءَهُ لا يُحجَّبُ  
وخشيتُ فيها أن يضيقَ المذهبُ  
طولاً وعرضاً شرقها والمغربُ  
فالنُّصحُ أعلى ما يُباعُ ويوهبُ؛؛؛؛

## قاتل الأسود

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه، شاب في مقتبل العمر لكنه بطلٌ همام، وشجاع مشهور من صحابة رسول الله ﷺ، أسلم هاشم يوم فتح مكة، وحسن إسلامه، وانقلب من عدو لله ورسوله ﷺ إلى ولي حميم لله ولرسوله ولدينه، وكذلك ينبغي أن يكون كل مسلم عاش في جاهلية المعاصي يوماً ما.

كان هاشم من الأبطال المعدودين، ومن شجاعته وهمته في الحرب كان يلقب بـ «المقال»، أي: السريع إلى العدو، لقد خرج بطلنا هذا مع عمه «سعد بن أبي وقاص» أمير الجيش الإسلامي في بلاد الفرس لفتحها، ولإخراج العباد من عبادة إلى عبادة رب العباد، وهناك أبلى هاشم بلاءً حسناً، وكانت أيامه بيضاء غراء.

ومن أيامه الغرُّ «البيض» رضي الله عنه يوم «مظلم ساباط» مكان بالعراق بعد بلدة «نهر شير» التي فتحها المسلمون. في هذا المكان تجمعت كتائب كثيرة لكسرى، حاكم الفرس يسمونها «بوران»، يُقسمون كل يوم: «لا يزولُّ مُلك فارس ما عشنا»، وقد أعدوا أسداً كبيراً يُقال له: «المقرط» في طريق المسلمين، ظنوا أن المجاهدين في سبيل الله الذين يُحبون الموتَ ويؤثرونه على الحياة مثلهم سيخافون ويفرون من أسدٍ.

لم يعلموا أن إرضاء رب العالمين، والفوز بجنته، ونيل كرامته

هو مطلوبهم، ولم يعلموا أن الأسد حيوان مسخرٌ مربوبٌ، والله تعالى قادر أن يحوله عليهم، كـ«فيل أبرهة»، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٢١).

تقدم المسلمون، فسبَّ الفرس الأُسُد!، وكان هاشمٌ في المقدمة رضي الله عنه، فتقدم بسرعة إلى الأسد، فقتله، والفرس ينظرون، فكبرَّ المسلمون تكبيراً أفرغت قلوب الفرس، واستمر هاشم في تقدمه وسرعه ومن ورائه الفاتحون، فحمل على الفرس حملةً شديدةً أزالتهم عن أماكنهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ كُونُوا آفَئِمَّةً مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم ٤٤)، وتم النصر بفضل الله تعالى وله الحمد والمنة. وفي هذا اليوم قبَّل سعدٌ رضي الله عنه رأس هاشم ابن أخيه؛ تكريماً له، وقبَّل هاشمٌ قدم سعدٍ؛ إجلالاً واحتراماً له، ولُقِّب سيفُ هاشم من ذلك اليوم بـ «المنن». فرضي الله عنه، وعن صحابة النبي ﷺ أجمعين.

وهناك ما هو أكثر عجباً في أمر الحيوانات عامة والأسود خاصة، فهي من خلق الله وهي مأمورة، فعن سَفِينَةَ مولى رسول الله ﷺ قَالَ: «كُنْتُ فِي الْبَحْرِ، فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتُنَا فَلَمْ نَعْرِفِ الطَّرِيقَ، فَإِذَا أَنَا بِالْأَسَدِ قَدْ عَرَضَ لَنَا، فَتَأَخَّرَ أَصْحَابِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنَا سَفِينَةُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَضَلَّنَا الطَّرِيقَ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى أَوْقَفَنَا عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ تَنَحَّى وَدَفَعَنِي كَأَنَّهُ يُرِينِي الطَّرِيقَ،

فَطَنَنْتُ أَنَّهُ يُودِّعُنَا» (رواهُ البَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ)، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «فَانكَسَرَتْ سَفِينَتِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، فَزَكَيْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجْمَةٍ فِيهَا الْأَسَدُ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ يَرِيدُنِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَدَفَعَنِي بِمِنْكَبِهِ».

ومَّا هوَ أعجَبُ فقَصَّهُ كلبٌ يثأرُ للنبي ﷺ، حيثُ ذَكَرَ الحَافِظُ ابنُ حجرِ العسقلاني رحمه الله في الدرر الكامنة: «... ذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير، عُقد بسبب تنصُر أحد أمراء المغول، فأخذ واحدٌ من دعاة النصارى في شتم النبي ﷺ، وكان هناك كلبٌ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ زَجَرَ الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبي وخمسه بشدة!!، فحلَّصوه منه بعد جهْدٍ، فقال بعض الحاضرين: «هذا بكلامك في حق محمد ﷺ» فقال الصليبي: «كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس؛ رأني أشيرُ بيدي فظنَّ أنني أريدُ ضربه»، ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع في السبِّ!!، عندها قطع الكلبُ رباطه، ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره (أسفل رقبتة) في الحال!!، فمات الصليبي من فوره. فعندها أسلم نحو أربعين ألفاً من المغول!.

وذكر الإمام الذهبي هذه القصة في «معجم الشيوخ» بحسب ما شاهده الشيخ «جمال الدين السوامي» حتى قال: «وافترسه والله العظيم وأنا أنظر!!، ثم عَضَّ على زردمته

«رقبته» فاقتلعهما، فمات الملعون، وأسلم بسبب هذه الواقعة العظيمة من المغل نحو من أربعين ألفاً!! .

فسبحان الله العظيم، لا غرابة أن يقتل بطل مسلم مجاهد، يهتف من أعماقه «وعجلت إليك ربي لترضى» أن يقتل أسداً في المعركة، ولا غرابة أن يتحول الأسد الهصور الى دليل مطواع لمولى رسول الله ﷺ، ولا غرابة ايضاً أن يدافع ويثأر كلب للرسول الكريم، ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ (النور ٤١).

## قوة الحجّة !

لما ظهر الخوارج على الكوفة أخذوا أبا حنيفة رحمه الله فقالوا له: تب يا شيخ من الكفر! فقال: أنا تائب إلى الله من كل كفر، فخلوا عنه، فلما ولى قيل لهم: إنه تاب من الكفر، وإنما يعني به: ما أنتم عليه!، فاسترجعوه.

فقال رأسهم: يا شيخ! إنما تبت من الكفر، وتعني به ما نحن عليه؟!، فقال أبو حنيفة: أبظنّ تقول هذا أم بعلم؟، فقال: بل بظن، فقال أبو حنيفة: إن الله تعالى يقول ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ﴾ (الحجرات ١٢).

وهذه خطيئة منك، وكل خطيئة عندك كفر؛ فتب أنت أو أولاً من الكفر!، فقال: صدقت يا شيخ، أنا تائب من الكفر!.

وجاءوه مرة أخرى ليناظروه؛ لما علموا أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب فقالوا: هاتان جنازتان على باب المسجد:

• أما إحداهما؛ فلرجل شرب الخمر حتى كظته، وحشرج بها؛ فمات غرقاً في الخمر، والأخرى: امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل؛ قتلت نفسها!، فقال لهم أبو حنيفة: من أي الملل كانا؟ أمن اليهود؟، قالوا: لا، أفمن النصارى؟، قالوا: لا قال: أفمن المجوس؟ قالوا: لا، قال: من أي الملل كانا؟، قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله!.

قال: فأخبروني عن الشهادة، كم هي من الإيـمان؟ ثلث، أم ربع، أم خمس؟! قالوا: إن الإيـمان لا يكون ثلثاً، ولا ربعاً، ولا خمساً! قال: فكم هي من الإيـمان؟، قالوا: الإيـمان كله، قال: فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقرتم أنها كانا مؤمنين؟!، فقالوا: دعنا عنك! أمن أهل الجنة هما، أم من أهل النار؟، قال: أما إذا أبيتم:

• فإني أقول فيها ما قال نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جُرمًا منهم: ﴿ رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (إبراهيم ٣٦).

• وأقول فيها ما قال نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جُرمًا منها: ﴿ إِن تَعَدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة ١١٨).

• وأقول فيها ما قال نبي الله نوح: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ مِّنْ لَّا أَرْذَلُونَ ﴾ (١١٣) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِن حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿ (الشعراء ١١٣).

• وأقول فيها ما قال نبي الله نوح عليه السلام وعليهم أجمعين وعلى نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود ٣١).

فألقوا السلاح وقالوا: تبرأنا من كل دين كنا عليه، وندين الله

بدينك؛ فقد آتاك الله فضلاً وحكمة وعلماً.

الإمام أبو حنيفة شخصية عظيمة، وعالم جليل، وإمام كبير، إنه النعمان بن ثابت المعروف بـ"أبي حنيفة"، نشأ هذا الطفل في أسرة صالحة وغبية، كان وحيد والديه، وكان والده يمتلك دكاناً يبيع فيه الأثواب، استطاع هذا الطفل الوحيد أن يحفظ كتاب الله وهو في سن صغيرة، وكان يساعد والده في الدكان، وذهب معه إلى الحج وهو في السادسة عشرة من عمره، وتعلم أصول الدين وعلم الكلام والفقه، حتى أصبح عالماً فقيهاً وهو في العشرين من عمره. وقد كان يجمع الطلاب في حلقاتٍ في المسجد ويعلمهم العلوم المختلفة.

رحم الله هذا العالم الجليل العامل.

## أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ

عن جابر رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي أخذَ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: «أذهبْ فأتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُقرِّئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسَله عن شيءٍ قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلمَّا جاء الشيخ قال له النبي ﷺ ما بال ابنك يشكوك، أتريد أخذَ ماله؟ قال: سلُّه يا رسول الله، هل أنفقَه إلا على إحدى عمَّاته أو خالاته أو على نفسي! فقال النبي ﷺ: إِيه! دَعْنَا من هذا، أخبرنا عن شيءٍ قُلْتَه في نفسك ما سمعته أذناك، فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يَزَال الله يزيدنا بك يقيناً! لقد قلتُ في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي فقال ﷺ: قُلْ وأنا أسمع، قال: قلتُ

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُتِّتَكَ يَافِعًا	تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتِ	لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَمْتَمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمُطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طَرِقَتْ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا	لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مَوْجَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَطَاظَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضَّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَ حَقَّ أَبَوَيْ

فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

قال: فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه وقال: أنت ومالك

لأبيك.

والرواية الأخرى للحديث: «أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم». أخرجه أحمد وأبو داود. وذكر سعيد بن المسيب قال: «إن البار لا يموت ميتة سوء».

وذكر أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبيّ بلغا من الكبر أني ألي منها ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتها؟ فقال ﷺ: «لا؛ فإنها كانا يفعلان ذلك وهما يُحِبَّان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتها».

وذكر الزمخشري أن رجلاً شكّا إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به، فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله، فقال الشيخ: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيفٌ وهو قوي، وأنا فقيرٌ وهو غني، ويبخل عليّ بماله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «ما من حجرٍ ولا مدرٍ يسمع هذا إلا بكى»، ثم قال للولد: «أنت ومالك لأبيك، أنت ومالك لأبيك». وذكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمّه ويقول:

إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ لَا تُدْعَرُ إِذَا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لَا تَنْفِرُ  
مَا حَمَلَتْ وَأَزْضَعْتَنِي أَكْثَرَ اللهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ أَكْبَرُ

فقال: أتراني جازيتها؟ قال: لا، ولو زفرة واحدة.

ويحسن أن أنقل ما قاله ابن قدامة رحمه الله: وللأب أن يأخذ من مال ولده ما شاء، ويتملكه مع حاجة الأب إلى ما يأخذه ومع عدمها، صغيراً كان الولد أو كبيراً، بشرطين:

أحدهما ألاَّ يُجحف بالابن ولا يضرُّ به، ولا يأخذ شيئاً تعلَّقت حاجته به والثاني ألاَّ يأخذ من مال ولدٍ فيعطيه الآخر.

إنَّ منزلة الوالدين في شريعة الإسلام منزلةٌ رفيعة؛ فالأب هو سبب وجود الولد، وهو وأمه اللذان تعهَّداه بالرعاية والعناية، ولولا أن يقوم الوالدان برعايته وإرضاعه، وتنظيفه ومداواته لهلك حتماً؛ لأنَّه وُلِدَ أضعف ما يكون مخلوق، فأحسننا إليه غاية الإحسان، فكان عليه أن يُقابل هذا الإحسان بالبرِّ والطاعة؛ يقول الله تعالى:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن ٦٠)

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٣).

حَرَّمَ اللهُ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَقُولَ لَوَالِدِيهِ: «أَفِي» إِذَا كَلَّفَاهُ بِأَمْرٍ  
 مِنَ الْأُمُورِ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَخْفِضَ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَمْرَهُ أَنْ  
 يُصَاحِبَهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَلَوْ كَانَ كَافِرِينَ يَدْعَوَانِهِ إِلَى الشَّرِكِ: ﴿وَإِنْ  
 جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا  
 وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ  
 مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان ١٥).

ومجتمعنا الإسلامي والله الحمد يتميز ببرِّ الآباء والأمهات  
 والعناية بهما وطاعتها، وهذا ما يميّزنا عن المجتمعات الأخرى،  
 وأكثر ما يشتكي منه كبار السن من الآباء والأمهات في الغرب هو  
 انفضاض أولادهم عنهم وخاصة عند الكبر، بينما نحن نتعبد الله  
 بخدمة كبارنا خاصة الوالدين، واجتماع الأبناء والبنات والأحفاد  
 في بيت الجد وخاصة في المناسبات أمر مشهود ومحمود، ولقد أدركنا  
 أن العاق لوالديه لا يوفق في دنياه، ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى، ثبتنا  
 الله على الحقِّ، ووفّقنا إلى ما يُرضيه.

## البلدوزر!!

ذكرت وسائل الإعلام الكثيرة أنه من يوم الجمعة (٢٩/٤/٢٠١٧م) أصبحت كل وسائل التواصل الاجتماعي والنشطاء الأفارقة والصحف تناول الموضوع الرئيسي، الا وهو ما فعله رئيس تنزانيا «جون ماغوفولي» حيث قام بطرد عشرة آلاف موظف بسبب «التزوير».

لكن من هو «جون بومبي ماغوفولي»؟

هو «جون بومبي ماغوفولي» رئيس تنزانيا قاهر الفساد في بلاده، هو حاصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء، وبدأ كأستاذ في الثانوية ثم خدم مع شركة صناعية قبل أن يدخل عالم السياسة. وبعد انتخابه في تشرين الأول (٢٠١٥م) أقال الرئيس عدة مسؤولين بارزين من بينهم رئيس جهاز مكافحة الفساد، ورئيس مصلحة الضرائب، ومسؤول بارز في السكك الحديدية، ورئيس هيئة الموانئ في إطار حملة أوسع لمكافحة الفساد.

أوقف مصاريف الاحتفالات الرسمية في يوم الاستقلال لجمهورية تنزانيا (لكي لا تخسر الدولة مالا لا طائل من ورائه) وحوها لمحاربة وباء الكوليرا آنذاك .

استغنى عن عدد من الوزراء، فأنقصهم من ثلاثين وزيراً في الحكومة إلى تسعة عشر وزيراً، وطلب من جميع الوزراء الكشف عن

أرصدتهم وممتلكاتهم، وهدد بإقالة أي وزير لا يكشف عن حسابه،  
أو لا يُوقع على تعهد بالنزاهة .

منع جميع سفريات المسؤولين للخارج بغير ترخيص مباشر  
منه، حيث يري أن هؤلاء المسؤولين عليهم أن يهتموا بالمشاكل  
الداخلية، أما السفراء فعليهم أن يهتموا بها في الخارج، كما منع  
المسؤولين في الحكومة من السفر في الدرجة الأولى في الطائرات .

منع اللقاءات والندوات الحكومية التي تُقام في الفنادق، وفي  
لقاء الكومنولث أرسل أربعةً من المسؤولين فقط ليمثلوا البلاد بدلاً  
من خمسين كانوا في الكشف وجاهزين للسفر مع الوفد الحكومي .

وفي زيارةٍ مفاجئةٍ قام بها للمستشفى الرئيسي في الدولة،  
وجد المرضى يفترشون الأرض، ووجد أيضاً بعض الأجهزة الطبية  
متعطلة، فعزل جميع المسؤولين في المستشفى، وأعطى مهلة أسبوعين  
للإدارة الجديدة لإصلاح الأعطال، وهكذا وبقدرة قادرٍ، خلال  
ثلاثة أيام فقط أصلحوا كل شيء .

أنقص ميزانية حفلة افتتاح البرلمان الجديد إلى سبعة آلاف  
دولار بدلاً من مائة ألف دولار، وحوّل المبالغ لتكملة نواقص  
المعدات الصحية بالمستشفى الرئيسي بالبلاد .

أرسل رئيس الوزراء في تفتيش مفاجئ لميناء دار السلام،  
واكتشف وجود تجاوزات ضريبية واختلاسات بلغت أربعين مليون

دولار من العائدات، فأمر بإعتقال رئيس الديوان في تنزانيا مع خمسة من كبار مساعديه، وبدأ بتحقيق جنائي معهم .  
أمر بجمع جميع عربات (٤x٤) التابعة للدولة وباعها في المزاد العلني، وعرضهم بدلاً عنها بسيارات تويوتا.  
«ماغوفولي» تمت تسميته بالبولدوزر «الجرافة»، حيث كان همّه الشاغل اجتثاث ومحاربة الفساد في تنزانيا من اليوم الأول في السلطة، كما وعد في الحملة الانتخابية وبدون أن يقول: «عفا الله عما سلف».

اللهم امنن علينا في الدول العربية والإسلامية وارزقنا بلدوزرات أضخم وأحدث أو على الأقل مشابهة لبلدوزر تنزانيا ومن نفس النوعية والطراز، وإن كانت أفعل وأقدر فذلك فضل منك عظيم؛ لأن الفساد في بلادنا قد عمّ وطمّ وتجذر، وليس له بعد الله إلا بلدوزرات لا تبقي ولا تذر.

## اتق الله .. سلاحٌ خارقٌ

يقوم الإنسان بأعمال كثيرة في حياته، يظنها الله تبارك وتعالى، ولكنه يُبطن سرّاً معها شيئاً من حب الشهرة والمدح والثناء وغيرها مما تتحدث به نفسه بصمت، عملٌ ظاهره تدين وباطنه فيه دخن.

ولكن تمر على الإنسان لحظات صفاء يكون فيها العمل خالصاً لوجهه الكريم وخاصة ما كان منه بالخفاء بعيداً عن أعين الناس، لأن الله يعلم السر وأخفى، مثل هذه الأعمال الصالحة الخفية هي التي تثقل الميزان، ولها شأن خاص عند صاحب الشأن، لدرجة أن صاحبها يمكن أن يدعو الله بها لمساعدته أو إنقاذه.

فقد روى البخاريّ ومسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم، حتّى أووا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرتْ صخرةٌ من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنّه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلاّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فقال رجلٌ منهم: (مقالته..... ثم قال:). اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءً وجهك، ففرّجْ عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنتٌ عمّ، كانت أحبّ الناس إليّ، فأردتها عن نفسها، فامتنعت منّي حتّى ألت بها

سَنَةً مِنَ السَّنِينَ، فَجَاءَتْني فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخْلِي بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلْتُ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتَهُ ابْتِغَاءً وَجِهِيكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجْتَ الصَّخْرَةَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا).

قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ مَقَالَتهُ..... ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهِيكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجْتَ الصَّخْرَةَ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

بُرِّ الوالدين أُمَّرٌ عَظِيمٌ، لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا ذُو حِظِّ عَظِيمٍ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٣٦ النساء)، كما قال الحبيب ﷺ: «رَغِمَ أَنْفٌ مِنْ أَدْرِكِ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكَبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» (رواه مسلم).

أَمَّا الثَّانِي الَّذِي أَحَبَّ ابْنَةَ عَمِّهِ كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالَ النِّسَاءَ، فَقَدْ فَازَ بِالامْتِحَانِ، وَفَعَلَتْ كَلِمَةَ «اتَّقِ اللَّهَ» فَعَلِمَا بِهِ بِالْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ... «فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ سَيُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا صَاحِبَ الْحِظِّ الْعَظِيمِ؟!.

فَلَا رَادِعَ لَضَغْطِ الشَّهَوَاتِ إِلَّا التَّقْوَى وَمَخَافَةُ الْمَوْلَى، وَهَنَا يَأْتِي

دورنا كأولياء أمور في زرع مخافة الله عند أبنائنا منذ نعومة أظفارهم، نكررها عليهم مراراً وتكراراً نظرياً وعملياً حتى تصبح برنامجاً ذاتياً في قرارة أنفسهم، ليحفظهم الله بها في المواقف الحرجة، فينتصر الحق على الباطل والحلال على الحرام.

أمّا الثالث، صاحب الأمانة التي نبعت من الإيمان الحقيقي الصادق، الذي حفظ مال أجيره ونّاهها، ولا يعلم بذلك إلاّ الله، فكان بإمكانه إعطائه أصل الأجر لا ما ترتب عليه من أرباح، قال صلى الله عليه وسلم: «أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا يضرّنَّك ما فاتك من الدُّنيا: صدقٌ حديث، وحفظٌ أمانة، وحُسنٌ خليقة، وعفّةٌ طُعْمة» (رواه أحمد).

## الإفك القديم الجديد

في المعاجم اللغوية: أَفَكَ الرَّجُلُ أَي كَذَبَ وَافْتَرَى، والكذب مرض يعاني منه الكثيرون، فمنهم من يمتنه لغرض في نفسه، ومنهم من يمارسه تسليّةً وجهاً من عند نفسه.

فامتهان الكذب مرضٌ قديمٌ جديدٌ، أُبتلينا به في العمل الإسلامي، فالتطلعون والمتشوفون للشهرة والمناصب الذين تسللوا في غفلة من الزمن إلى صفوف الحركات الإسلامية وقادوها، كانت وسيلتهم غير الشريفة هي اغتيال الأبرياء في سمعتهم بين القواعد، فانتشر الهمسُ واللمزُ والتجريحُ بين هذا وذاك على آخر بريء، دون أن نستطيع تتبع مُطلق الإشاعة وتعريته، فيطفو المتشوف ويُنسى البريء المخلص، وهكذا يُصبح قائداً مغوراًً بكذبه على منافسيه، وفي عالم الأسرار والعمل السري تنتشر الإشاعات وتتمدد، فالثقة في غير مكانها والطاعة العمياء تُستغل أسوأ استغلالٍ، والشيطان يتفرج ويُقهقه بملء فيه.

فيا إلهي، كم من الأمور تُفسرُ أو تُفهمُ أو تُؤوّلُ خطأً، بل كم من الحقائق تُزور. فيُظلم الكثيرون بقصد أو بدون قصد، وكم تتسرع عندما نتلقف خبراً ونذيعه دون تمحيص وتدقيق، نحسبه حيناً وهو عند الله عظيم. وكم نغتال من الشخصيات البريئة دون أن نتكلف عناء التدقيق، نرمي الكلمة ولا نُلقي لها بالاً، فترك انطباعاً

سلبياً عن فلان، ثم نتعاملُ معه اعتماداً على هذا الانطباع بسلبيةٍ قاتلةٍ. تحقق الأخوةُ وتفُضي لما هو أسوأ، وصدق رسولنا العظيم عندما قال «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقى لها بالاً يرفعهُ الله بها درجاتٍ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم» (رواه البخاري).

أفواج من الشباب تخرجت وانتشرت في أطراف الدنيا وهي على انطباعاتها السلبية السابقة، فمن سيصحح لها المعلومة الخاطئة؟!، لا بل يموت من يموت وهو ظالم لغيره ولنفسه، وتموت معه حقيقة أو انطباع غير صحيح، ولكن يبقى من يُعاني من ترسباتها وما ينبي عليها، وكل ذلك في سجل العليم الخبير، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنتُ أُحمل في هودجي وأنزل فيه.

فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمْتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي،

فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعتُ  
فالتمستُ عقدي، فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين  
كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت  
أركب عليه وهم يحسبون أني فيه- وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن  
ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام- فلم يستنكر القوم  
خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جاريةً حديثة السن، فبعثوا  
الجمل فساروا.

ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس  
بها منهم داع ولا مجيب، فتيمنتُ منزلي الذي كنت به وظننت  
أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني  
عيني فمتمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من  
وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني  
حين رأيته وكان رأي قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين  
عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا  
سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ  
على يدها فقامت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا  
الجيش موغرين في نحر الظهيرة، وهم نزول قالت: فهلك من هلك  
وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، قال عروة  
أخبرت أنه كان يُشاع ويُتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه،

وقال عروة أيضاً: لم يسم من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت  
ومسطح بن أثانة وحمئة بنت جحش وآخرين لا علم لي بهم، غير  
أنهم عصبه، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح  
فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا فقالت: أي هتاه  
ولم تسمعي ما قال، قالت: وقلت ما قال، فأخبرتني بقول أهل  
الإفك، قالت: فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي  
دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له أتأذن  
لي أن آتي أبوي، قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلها، قالت فأذن  
لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟ قالت يا  
بنية: هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يُجبهها،  
لها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت سبحان الله، أولقد تحدث الناس  
بهذا؟ قالت: فبكيك تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا  
أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

قالت: فبكيك يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل  
بنوم، قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيك ليلتين ويوماً لا يرقأ  
لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما  
أبواي جالسان عندي وأنا أبكي دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم  
جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث  
شهرًا لا يُوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ

حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال: أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجبني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأيتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل

عليه، قالت: فسُري عن رسول الله ﷺ وسلم وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك، قالت: فقالت لي أُمي قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل.

قالت: وأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُولِيكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالِاسْتِكْبَارِ وَتَقُولُونَ يَا قَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَّيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ

خَطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَوَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النور ١١-٢٢﴾.

قال أبو بكر الصديق وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور ٢٢).

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً (رواه البخاري).

حديث الإفك هذا، يُقطع القلب، ويبيك لبكاء عائشة دون أن تشعر، فما أقسى قلوب الأفاكين، حين يغتالون الأبرياء على مر الزمن، أما أن للذين ينفثون سموهم هنا وهناك من خلال الكلام المبطن، أن يتذكروا أنهم محاسبون على حصائد ألسنتهم؟. بل أما أن للذين يوزعون اتهاماتهم عن اليمين وعن الشمال، أن يفعلوا

لأنفسهم خيراً فيصمتوا؟.

وأما نحن السَّمَّاعون لهم، أما أن لنا أن نتحقق وندقق في ما نسمع؟ لماذا نؤجر عقولنا لغيرنا؟!، نفوز بالإثم الكثير ونحن نظن أننا نُحسِنُ صُنْعاً، ويا تُرى لمن قال رسول الله في الحديث الصحيح «ولا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا» (رواه الترمذي).

وأخيراً لا تُصدّق كل الذي تسمع، فلكل منّا هواه، وفي كل منّا مركب نقصٍ، وكلُّ يؤخذ من كلامه ويُرد إلى رسول الله ﷺ.

## الغلامُ القائدُ

القائد الحقيقي هو الذي يُربي قائداً او قادةً حسب معايير الكفاءات والمواهب والقدرات بعيداً عن التورث القسري، فأهل الطغیان والفساد لا يملكون الحُجج العقلية والقدرة الإدارية على معالجة أمور الرعية فيلجؤون إلى التورث أو السحر والشعوذة أو كليهما.

ولأهمية تشيئة القادة فلا بد من الاهتمام بالنشء، والاعتناء بأصحاب المواهب من الصغر، وتنمية مواهبهم وقدراتهم العقلية والفكرية والإدارية، لأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، ولأن الصغير يمكن توجيهه وتعليمه بالطريقة المرادة، لأنه يتمتع بقبولية التعلّم.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن صُهَيْبِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبْسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبْسَنِي السَّاحِرَ، فَبَيْنَمَا

هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ  
أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ، فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ  
كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ؛ حَتَّى  
يَمُضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ  
أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا  
تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ  
سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ يَهْدِيًا كَثِيرَةً  
فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا  
يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَاَمَنَّ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ  
اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ  
عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي، قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ  
اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ،  
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ  
وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ  
يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ..

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَعَا  
بِالْمُشَارِ فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّه حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ  
جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُشَارَ

فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهٖ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: اَرْجِعْ عَنِ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنِ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنِ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا!.

وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَدِّرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ

بِكَ حَدَرْتُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السُّكَّكِ فَحُدَّتْ  
 ، وَأَصْرَمَ النَّيِّرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَقْحَمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ  
 اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ  
 فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغَلَامُ يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ».

وهنا لا بد من ذكر الأمور التالية:

هذا الغلام الداعية الشهيد أُخرج من قبره زمن الخليفة عمر  
 بن الخطاب رضي الله عنه واضعاً يده في صدغه «مكان السهم»،  
 طريُّ يتثنى وكأنه استشهاد لتوّه (رواه القرطبي).

قلوب العباد بيد الله، يهدي من يشاء ويُضل من يشاء، فقد  
 اهتدى الغلامُ وهو في أحضان الساحر وعناية الملك العاثر. قوة  
 تلبس السحرة وأعوانهم على الناس، فلم يزل الشكُّ عند الغلام  
 رغم تعليم الراهب له حتى عرضت له الدابة، فقال: الْيَوْمَ أَعْلَمُ  
 السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ!

قال أهل العلم والمعرفة من الصالحين: لو رأيتُم الرَّجُلَ يَطِيرُ  
 فِي الْهَوَاءِ وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَلَا تَغْتَرَّوْا بِهِ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ وَقُوفُهُ  
 عِنْدَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي. إِنَّ لِلدِّينِ عِلْمًا وَعَمَلًا.. هو الميزانُ  
 الذي يُفَرِّقُ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ. فيجب عدم الاغترار  
 بالكرامات ولا بد من نسبتها إلى الله تعالى من حيث الأصل والفضل.  
 إن إرادة الله فوق كل إرادة، وقدرة الله فوق كل قدرة، وأمر

الله فوق كل أمر لا راداً لقضائه ولا معقب لحكمه، إذا قال للشيء: كن فيكون، يُري العباد ضعفهم وعجزهم مهما تجبروا وطمعوا وبغوا، لقد اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذي يثبت به دعائم ملكه، وأراد الله تعالى أن يكون الداعية الصالح الذي يدمر ملكه، ويهدي الناس إلى الدين الحق، وفي ذلك آية للمعتبرين، فالله يُهيئ لدينه رجالاً ينبتون في بيوت الطواغيت الكفرة ليكونوا الدعاة الهداة البررة.

من كمال تربية العالم لتلميذه، إعداده وتهيئته لتحمل أعباء الدعوة: [وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى] استشرفاً للمستقبل من خلال التحديات، وتهيئة النفس، وترتيب الحسابات لذلك.  
ومنها ما قاله الإمام حسن البنا:

إيها الإخوان: سيف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم، وستندرع الغاصبون بكم لمناهضتكم، وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة، والأأيادي

الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بدعوتكم كل نقيصة، وأن يظهرها للناس بأبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتمدين على أموالهم ونفوذهم وإعلامهم، وستدخلون بذلك لاشك في التجربة والامتحان، فتسجنون وتقتلون وتعتقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان. فهل أنتم مستعدون أن تكونوا من أنصار الله؟؟.

المؤمن يمتحن في صدق إيمانه والثبات على قول الحق ولو أدى ذلك إلى إزهاق نفسه، لأن الأصل الابتلاء للمؤمنين، ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت ٢) على أهل الإيمان أن يُسخروا كل ما آتاهم الله وتفضل به عليهم لخدمة دينهم والدعوة إلى سبيله بالتي هي أحسن. مع اليقين بأن الله سيظهر دينه وينصر أهل الحق ويهزم الباطل وحزبه.

## خربشات على جدران العقل !

مقال خطته كاتبة إماراتية بارعة، تقول فيه:

ساعت ملامح الزمن كثيراً!، فالجدران التي كنا نلطحها بالطباشير والفحم بفرح!، أمست تُلطح بالدم بحزن!. وقوم لوط!!!، أمسينا نطلق عليهم «جنساً ثالثاً»!. والمتشبهات من النساء بالرجال واللاتي لعنهن الله؛ نطلق عليهن «بويات»، ونتعامل مع الكبائر على أنها «حالات نفسية»، ونستهلك الكثير من وقتنا في حوارات مقرفة مع بويات وجنس ثالث.

ومدمنو خمر ومخدرات!، وعلماء نفس واجتماع يناقشون ويحللون!. عفواً ماذا تناقشون؟، رجال يُمارسون اللواط ونقل..!، أبناء يُمارسون العقوق بأبشع صورة!، فتيات يمتهن «الدعارة»... وأمست الحالة النفسية شهاة الزمن البشع!.

في طفولتنا كانت لعبة الألوان وكراسة الرسم متعة ما بعدها متعة، فالرسم كان بمثابة الكمبيوتر والنت والبليستيشن، وفي طفولتنا كانت القنوات التلفزيونية مدرسة من مدارس الحياة، وكانت هناك ثوابت لا تتغير بها، كان البث التلفزيوني يبدأ بالسلام الوطني ثم القرآن الكريم ويليه الحديث الشريف، ثم أفلام الكرتون التي كنا نطلق عليها رسوماً متحركة، ثم المسلسلات العربية المحترمة التي كان لا يصلنا منها إلا الصالح، لأن رقابة التلفزيون في ذلك الوقت

كانت لا تتجاوز الخطوط الحمراء.

كانت الرقابة تحمل في أجنحتها ما تحرص على احترامه، بدءاً بالدين وانتهاءً بالعادات والتقاليد، فكانت مشاهد العُري تُحذف، ومشاهد الرقص تُحذف، ومشاهد القُبُل تُحذف، والألفاظ البذيئة تُحذف، وكان وقت الأذان مقدّس، تليه فترة استراحة للصلاة.

والآن؟ ماذا تبقى من إعلام ذلك الزمان؟، مشاهد رقصٍ وعريٍّ، وإعلانات مخجلة بدءاً بمزيلات الشعر وانتهاءً بالفوط الصحية، ومذيعات كاسيات عاريات!، فإمّا أن تكون المذيعة رجلاً تُناقش وتُحاور في المواضيع السياسية والرياضية بحدّة، وإمّا أن تكون دميمة تتراقص وتتمايل بملابس أقرب ماتكون للملابس النوم، لينهار من جبال الأخلاق ما ينهار!، إلا من رحم الله ! .

المسلسلات التركية وآخر أنواع المخدرات التي صُدّرت للوطن العربي، لا عادات تتناسب مع عاداتنا ولا مفاهيم يتقبلها ديننا، فلا يكاد يخلو مسلسل تركي من امرأة حامل، تحمل في أحشائها بذرة حرام ونتابع المسلسل والبذرة تكبر!، ونحن نتعاطف مع المرأة لأنها بطلة المسلسل التي يجب أن نعيش حكايتها الحزينة، ونترقب الأحداث بلهفة عظيمة، ونتحاور ونتناقش هل ستعود إليه أم لا!، متجاهلين أنها زانية تحمل في بطنها سفاحاً، ضارين بعرض الحائط كل القيم التي تربينا عليها، فمسلسل واحد كفيلاً بأن ينسف

من الأخلاق الكثير!.

وأصبح التناقض يسري فينا مسرى الدم، ففي الوقت الذي نُربي فيه فلذاتنا على الفضيلة والأخلاق، ننفس هذه الفضيلة وهذه الأخلاق أمامهم في جلسة واحدة، لمتابعة مسلسل تركي بطلته حامل من صديقها البطل، ونحن نصفق ونشجع ونتعاطف ونبكي... ومنتظر ولادتها بفارغ الصبر!.

أترأه زمن أسمة البخت المائلة؟ والنساء المائلات المميلات؟، فالعباءة الفضفاضة ذات اللون الأسود والتي كانت تغطي المرأة من الرأس إلى القدم، فلا تشف ولا تكشف، وترمز للدين والستر والحشمة، لم يتبق من ملاحظها القديمة الكثير، بعد أن نزلت من الرأس إلى الكتف، وضائق حتى كادت تخنق صاحبته، وضاع سواد لونها في زخارف وألوان دخيلة!، وأمست العباءة بعيدة كل البعد عن الدين والحشمة والعادات القديمة!، فهناك عباوات شبيهة بقمصان النوم، وأخرى شبيهة بجلابيات المنزل وأخرى لا تختلف كثيراً عن فساتين السهرة والأعراس!، حقاً!!...أترأه زمن أسمة البخت المائلة؟!.

في الماضي الأجل!، كان ابن الخامسة عشرة يحمل السيف ويفتح البلدان، ويتحدى البحر في زمن الغوص من أجل لقمة العيش، وأصبح ابن الخامسة عشرة في زماننا مراهقاً يمر بمرحلة

خطرة ولا بد من مراعاة مشاعره، ولا بد من الانتباه إليه وتتبع خطواته حتى لا يزل، وإن أخطأ فهو حَدَث! ولا يعاقبه القانون!.  
وابنة الخامسة عشرة كانت في الماضي زوجة صالحة وأماً على مستوى عال من المسؤولية وأصبح زواج ابنة الخامسة عشرة الآن فعلاً يقترب من الجريمة، فهي طفلة لا تتحمل مسؤولية نفسها وقراراتها خاطئة ومشاعرها نزوة مؤقتة، تتغير حين تصل مرحلة البلوغ!، ابنة الخامسة عشرة في الماضي كانت أماً تربي أجيالاً، وابنة الخامسة عشرة في الحاضر مراهقة، إن لم نُسخر حواسنا الخمسة في مراقبتها ضاعت!.

تُرى!!، لماذا لم يراهق شباب الزمن الماضي وفتياته، هل المراهقة مرحلة من اختراعنا نحن؟ هل نحن من أوجدناها وألصقناها في زماننا؟!.

## أين نحن من هذا؟

كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، مزرعة في المدينة مجاورة لمزرعة يملكها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما؛ خليفة المسلمين في دمشق، وفي ذات يوم دخل عمال مزرعة معاوية إلى مزرعة ابن الزبير، وقد تكرر منهم ذلك في أيام سابقة؛ فغضب ابن الزبير وكتب لمعاوية في دمشق وقد كان بينهما عداوة قائلاً في كتابه:

«من عبدالله ابن الزبير إلى معاوية ابن هند آكلة الأكباد، أما بعد فإن عمالك دخلوا إلى مزرعتي، فمرهم بالخروج منها، أو فوالذي لا إله إلا هو ليكونن لي معك شأن».

فوصلت الرسالة لمعاوية، وكان من أحلم الناس، فقرأها، ثم قال لابنه يزيد: «ما رأيك في ابن الزبير أرسل لي يهدني؟» فقال له ابنه يزيد: أرسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتيك برأسه، فقال معاوية: «بل خيرٌ من ذلك زكاةً وأقربَ رُحماً».

فكتب رسالة إلى عبدالله بن الزبير يقول فيها: «من معاوية بن أبي سفيان إلى عبدالله ابن الزبير ابن أسماء ذات النطاقين أما بعد: فوالله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمّالي إلى عمّالك؛ فإن جنة الله عرضها السموات والأرض».

فلما قرأ ابن الزبير الرسالة بكى حتى بلّ لحيته بالدموع،  
وسافر إلى معاوية في دمشق وقبّل رأسه، وقال له: لا أعدمك الله  
حُلماً أحلك في قريش هذا المحل.

دائماً أيها الداعية؛ تستطيع امتلاك القلوب بحُسن تعاملك  
وإيثارك وحبك للآخرين. فحُسن التعامل والابتسامة اللطيفة  
للآخرين سحر حلال، تجذب بها من حولك وتسيطر على عقولهم،  
فيقلدوك بفعل الخير، وتذكر دوماً بأن من ابتغى صديقاً بلا عيب،  
عاش وحيداً، ومن ابتغى زوجةً بلا نقص، عاش أعزباً، ومن ابتغى  
قريباً كاملاً، عاش قاطعاً لرحمه، فلنتحمل وخزات الآخرين حتى  
نعيد التوازن إلى حياتنا، فإذا أردت أن تعيش سعيداً فلا تُفسر كل  
شيء، ولا تدقق بكل شيء، ولا تُحلل كل شيء، فإن الذين حللوا  
الألماس وجدوه فحماً.

لا تحرص على اكتشاف الآخرين أكثر من اللازم، الأفضل  
أن تكتفي بالخير الذي يُظهرونه في وجهك دائماً، واترك الخفايا  
لرب العباد، لأنه لو اطلعَ الناس على ما في قلوب بعضهم بعضاً  
لما تصافحوا إلا بالسيوف. ومن أحسن الصفات بعد الكرم صفة  
التغافل عن عيوب الآخرين، قال رسول الله ﷺ: «لا يُبلِّغني أحدٌ  
من أصحابي عن أحدٍ شيئاً، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم  
الصدر» (رواه الترمذي وأحمد).

## الحقيقة أكثر قسوة

مقال قاسٍ لكن الحقيقة قد تكون أكثر قسوةً، لأن العادات والتقاليد والفهم السطحي الخاطيء جعلنا نعكس الأولويات في حياتنا وممارساتنا التعبدية، وجعلنا نعيش الحالة الفردية الخاصة التي تتحكم فيها الأنا والذاتية البحتة، بعيداً عن هموم الأمة وحالة المسلمين عامة، كل هذا ونحن نحسب أننا نحسن صنعاً.

نحن بحاجة إلى فهم الدين وروحه قبل تطبيقه المتعثر فمثلاً، جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «عمرَةٌ في رمضان تعدل حجةً معي» (رواه البخاري ومسلم)، فهل يكفي هذا الحديث لحمل كل هؤلاء الملايين من الناس من كافة أنحاء العالم الإسلامي لأداء عمرة رمضان لمرات ومرات؟.

فمكة في هذه الأيام تزدهم بالمعتمرين، وربما أكثر من نصفهم مكررون، وكأن الناس يكتشفون الكعبة لأول مرة!! وحقيقة كل مسلم يشعر بالسرور أن الحرم ممتلئ عن آخره، بالتأكيد هذا منظر مفرح لقلب كل مسلم غيور ولكن، هل هذا ما يريده الله منا في رمضان؟.

هل يريد أن تكون قيمة إيجار الغرفة في فندق مجاور للحرم بعشرة آلاف ريال لليلة الواحدة في العشرة الأولى من رمضان، ولتصل إلى أضعافٍ مضاعفة في العشر الأواخر؟! والمسلمون

يموتون جوعاً أو مرضاً.

أليست هي الغفلة عن الحقيقة بعينها؟ خاصة عندما يدفع إنسانُ ألف ريال ليحجز له آخر مكاناً في الصف الأول في الحرم لأداء صلاة التراويح؟.

الغفلة قد لا تدعوك دائماً إلى القبائح والانحراف، لكن قد تدعوك وتجرك إلى المحاسن، لتصرفك عن حقيقة مكارم ما يريده الله منك في رمضان وغيره.

ألم يصح عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلاً» (رواه البخاري)، فهل صارت صحبة النبي في العمرة أهم عندنا من صحبته في الجنة؟؟.

أليس من غفلة المسلمين وخاصة مكررو العمرة أن تتكفل أوروبا باستقبال وكفالة خمسة آلاف يتيم مسلم ثم تنصرهم!!، ونحن ندفع عشرة آلاف ريال ثمن ليلةٍ لغرفةٍ تُطل على الحرم وكأن الله جل في علاه لا يرانا إلا في الحرم.

ألم يقل: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من مشى في حاجة أخيه؛ كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله؛ جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد ما بين الخافقين» (أخرجه الطبراني في الأوسط)، فأين قضاء حاجات المسلمين الذين يموتون جوعاً؟!.. لماذا يزداد الفقر والتشرد في فلسطين والصومال ومصر

وسوريا والعراق واليمن.... الخ.

هل العبادات الشكلية بدون روح أو مضمون تُغني من الأمر شيئاً؟، هل يُرضي الله عنا ان نصلي(٢٠) ركعة تراويح في الحرم وحتى بالصف الأول ثم نجلس بعدها لنگتاب فلاناً ونستهزئ بعلان؟.

أليس هذا هو الامتلاء الديني الزائف الذي يجعل الشيطان يرقص ويغني فرحاً؟! لا بل ربما الشيطان سيدفعنا للمزيد من هذه العبادات الشكلية حتى يطمئن بأن نومتنا ستمتد حتى موتنا. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف ١٠٣-١٠٤).

أليس من الغفلة أن يصوم الإنسان لساعات تطول أو تقصر ثم يفطر على طعام يُكلفه الكثير الكثير ويكفيه وأهله لعدة أيام، وربما يُرمى في النفايات بحجة أن نتذوق كل يوم اكلة جديدة في رمضان!!.

في المقابل وعلى سبيل المثال نجد أن رئيس الوزراء الكندي «الذي نقول عنه إنه غير مسلم -أي كافر-!!» يصوم رمضان للسنة الثانية على التوالي مشاركة لمواطنيه من المسلمين، ومن ثمَّ يجمع ما يوفره من مال في صومه ليتبرع به للجمعيات الخيرية، فمتى نصحو من الغفلة يا ترى؟!.

جاء رجل إلى بشر بن الحارث وقال: عزمت على الحج، فتأمرني بشيء؟، فقال بشر: كم أعددت النفقة؟، فقال الرجل: ألفي درهم، قال بشر: فأني شيء تبتغي بحجك؟ تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟، قال الرجل: ابتغاء مرضاة الله؟.

قال بشر: فإن أصبت مرضاة الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أتفعل ذلك؟ قال الرجل: نعم، قال بشر: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديناً يقضي دينه، وفقيراً يلم شعثه، ومعيلاً يغني عياله، ومربياً ليتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل. فإن إدخالك السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللهفان، وكشف الضر، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام!، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك؟.

قال الرجل: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً، وقد آل الله على نفسه ألا يقبل إلا عمل المتقين.

## لئلا يتمرد أولادنا

كُتبت السيدة عابدة المؤيد، حفيدة الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في كتابها «لئلا يتمرد أولادنا»، أنه من الأسباب الرئيسية لتمرد هذا الجيل زيادة عاطفة الأمهات والآباء، فبعد الشدة التي رُبينا نحن عليها، صرنا نخاف على أبنائنا من تأثيرات القسوة، وبتنا نخشى عليهم حتى من العوارض الطبيعية كالجوع والنعاس؛ فنطعمهم زيادة ونتركهم كسالى نائمين ولا نوظفهم للصلاة، ولا نُحملهم المسؤولية شفقة عليهم، ونقوم بكل الأعمال عنهم ونحضر لوازيمهم ونهيبهم سبل الراحة لهم ونقلل نومنا لنوظفهم ليدرسوا. فأبي تربية هذه؟ وما ذنبنا نحن؟ لنحمل مسؤوليتنا ومسؤوليتهم. ألسنا بشراً مثلهم ولنا قدرات وطاقات محدودة؟، إننا نربي أبنائنا على الاتكال علينا، وفوقها على الأنانية، إذ ليس من العدل قيام الأم بواجبات الأبناء جميعاً وهم قعود ينظرون!، فلكل نصيب من المسؤولية، والله جعل أبنائنا عزوة لنا وأمرهم بالإحسان إلينا!، فعكسنا الآية وصرنا نحن الذين نبرهم ونستعطفهم ليرضوا عنا.

ولأن دلالنا للأبناء زاد عن حده انقلب إلى ضده؛ وباتوا لا يقدرّون ولا يمتنون ويطلبون المزيد!، فهذه التربية تُفقد الابن الإحساس بالآخرين «ومنهم أمه»، ولن يجد بأساً بالراحة على

حساب سهرها وشقائها.

وإني أتساءل: ما المشكلة لو تحملَ صغيركِ المسؤولية؟، ماذا لو عمل وأنجز، وشعر بالمعاناة وتألّم؟ فالدنيا دار كِدٍ وكدرٍ، ولا مفر من الشقاء فيها ليفوز وينجح، والأمُّ الحكيمة تترك صغيرها ليتحمّل بعض مشاقها، وتُعينه بتوجيهاتها وتسنده بعواطفها، فيشتدُّ عودُهُ ويصبحُ قادراً على مواجهة أعباء الحياة وحده.

أمّا النصيحة التي قدمها مدير جامعة الخرطوم للآباء في مؤتمر التعليم تقول: إياكم أن تبنوا لأولادكم حجرة واحدة، أو تبنوا لهم بيتاً أو تشتروا لهم أرضاً أو شقة أو تركوا لهم نقوداً في البنك.

لو كان معكم أموال زائدة فاستثمروها في أولادكم، وإياكم الاستثمار لهم اصرفوا، كل النقود الزائدة عليهم؛ فأدخلوهم أحسن المدارس وأحسن الجامعات؛ وعلّموهم أحسن تعليم، علّموهم لغتين أو ثلاثاً أو أربع لغات.

أفهموهم أن النجاح في الحياة ليس بالضرورة أن يكون مرتبطاً بالنجاح في المدرسة أو الجامعة، فربنا خلق لكل واحد موهبة تختلف عن الآخر، والمحظوظ هو من اكتشفها، والشاطر الذي يعمل عليها، والناجح هو الذي يعمل بها.

ومن أجل هذا اكتشفوا مواهب أولادكم، اعملوا واصرفوا عليها ونمّوها، ودعوهم يعملون ويكبرون بها، النقود لن تعمل لهم

شيئاً، لو كبروا ولقوا أنفسهم ليس معهم غيرها، والبيت الذي ظللتهم  
أعماركم كله تستثمرون نقودكم فيه وتبنونه لهم، هم سيأتون بأحسن  
منه؛ بمجهودٍ ووقتٍ أقل بكثير لو كرستم نقودكم ومجهودكم في بناء  
أنفسهم والاستثمار في شخصهم.

وأخيراً، ابنِ ابنك ولا تبني له، واستثمر فيه ولا تستثمر له!  
فالتركة الحقيقية لأولادكم ليس المال ولا البيت أو الأرض، بل هو  
أولادكم أنفسهم عبر التعليم.

## الورع الصادق

جاءت امرأةً الى الإمام أحمد بن حنبل، فقالت: يا أبا عبدالله،  
إنِّي امرأةٌ أغزل «غزل الخيوط لصنع الملابس» في ضوء السراج، فيمر  
بنا العسس «رجال الشرطة بالليل» يحملون مشاعل السلطان، أيحُلُّ  
لِّي أن أغزل على ضوء نارهم؟.

فبكى الإمام أحمد بن حنبل و قال لها: من أنتِ؟، فقالت:  
أختُ بشر الحافي، فقال لها: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي  
على شعاعها، بكى الإمام أحمد بن حنبل لهذا السؤال الدقيق جداً،  
وخوف هذه المرأة من أن تقع في شبهة الحرام، دعك من الحرام،  
وعندما علم أن مثل هذه المرأة لا يمكن أن تكون إلا نشأتها في  
بيت إيماني، تأكد له ذلك عندما أجابته بأنها أخت بشر الحافي، ذلك  
الرجل الصالح، أجابها بقدر مقامها، وإن كان الأمرُ يجوز، بأن لا  
تغزل، لأن بيتها عُرف بالورع الصادق.

والورع الصادق لا يتأتى إلا لمن امتزجت خلايا جسمه  
بكيمااء الإيمان ونوره، وعرف دقة الحساب يوم القيامة، وفوارق  
درجات المحسنين والمقربين في الجنة، عندها يحسب حساب الصغيرة  
قبل الكبيرة ليزداد قرباً من العزيز الجبار.

فهذا الفاروق، عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُسافر إلى  
الشام، ليتفقد أحوال الجيش، فالتقى أولاً مع قائد الجيش أبي عبدة

بن الجراح، وحين دنا موعد الغداء قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أتأكل من طعام الجيش أم من طعام قائد الجيش؟!، فقال عمر: أرى هذا وأرى هذا، فرأى طعام الجيش وإذا به اللحم والمرق والثريد، ثم قال: أرى طعام قائد الجيش، ففوجيء به، وإذا هو كسرات من الخبز اليابس وكوبٌ من اللبن!!، فسأل هذا طعام قائد الجيش؟، قالوا نعم؛ وهو الذي كان بإمكانه أن يأكل ما لذ وطاب بحجة زيارة القائد الأعلى لقواته، فقال عمر رضي الله عنه: صدق من سمّاك أمين هذه الأمة.

وفي إحدى الليالي كان سيدنا عمر بن الخطاب يدور حول المدينة، ليتفقد أحوال الرعية فرأى خيمةً لم يرها من قبل، فأقبل نحوها متسائلاً ما خبرها، فسمع أنيناً يصدر من الخيمة فازداد همّه. ثم نادى فخرج منها رجل، فقال: من أنت؟، فقال: أنا رجل من إحدى القرى من البادية، وقد أصابتنا الحاجة، فجئتُ أنا وأهلي نطلب رفق عمر، فقد علمنا أنّ عمر يرفد ويراعي الرعية.

فقال عمر: وما هذا الأنين؟ قال: هذه زوجتي تتوجع من ألم الولادة، فقال: وهل عندكم من يتولى رعايتها وتولدها؟، قال: لا!! أنا وهي فقط، فقال عمر: وهل عندك نفقة لإطعامها؟

قال: لا، قال عمر: انتظر أنا سأتي لك بالنفقة ومن يولدها. وذهب عمر مسرعاً إلى بيته وكانت فيه زوجته أم كلثوم بنت

علي بن ابي طالب فنادى: يا ابنة الأكرمين، هل لك في خير ساقه الله لك؟، فقالت: وما ذاك؟، قال: هناك مسكينة فقيرة تتألم من الولادة في طرف المدينة، فقالت: هل تريد أن أتولى ذلك بنفسى؟، فقال: قومي يا ابنة الأكرمين وأعدي ما تحتاجه المرأة للولادة، وقام هو بأخذ طعام ولوازم الطبخ وحمله على رأسه وذهبا.

وصلا إلى الخيمة، ودخلت أم كلثوم لتتولى عملية الولادة، وجلس عمر مع الرجل خارج الخيمة ليُعدَّ لهم الطعام، أم كلثوم من الخيمة تنادي: يا أمير المؤمنين أخبر الرجل أن الله قد أكرمه بولدٍ، وأن زوجته بخير، عندما سمع الرجل منها «يا أمير المؤمنين» تراجع إلى الخلف مندهشاً، فلم يكن يعلم أن هذا عمر بن الخطاب، فضحك سيدنا عمر.

وقال له: اقرب.. اقرب، نعم أنا عمر بن الخطاب، والتي ولدت زوجتك هي أم كلثوم ابنة علي بن ابي طالب، فهبط الرجل باكياً وهو يقول: آل بيت النبوة يولدون زوجتي؟! وأمير المؤمنين يطبخ لي ولزوجتي؟!، فقال عمر: خذ هذا وسأتيك بالنفقة ما بقيت عندنا.

هذا هو المنهاج الذي أخذوه من سيدنا محمد ﷺ، فما كانت رفعة عمر بمجرد صلاة وصيام وقيام، ولا فتوحات فتحها في الأرض، بل كان له قلب خاضع خاشع متواضع منيب وأواب،

يقيم العدل والحق في الأرض، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله يوم القيامة.

يقول عبد الله النباجي: دخلت السوق فرأيت جارية يُنادى عليها بالبراءة من العيوب، فاشتريتها بعشرة دنانير، فلما انصرفت بها إلى المنزل عرضت عليها الطعام، فقالت لي: إني صائمة، قال: فخرجتُ فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلاً، ثم صلينا العشاء فجاءت إليّ وقالت: يا مولاي هل بقيت لك خدمة؟، قلت: لا، قالت: دعني إذاً مع مولاي الأكبر، قلت: لك ذلك.

فانصرفتُ إلى غرفة تُصلي فيها، ووقدتُ أنا فلما مضى من الليل الثلث ضربت الباب عليّ فقلت لها: ماذا تريدان؟، قالت: يا مولاي أما لك حظٌ من الليل؟، قلت: لا.

فذهبت فلما مضى النصف منه ضربت عليّ الباب وقالت: يا مولاي، قام المتهمجون إلى وردهم وشمر الصالحون إلى حظهم، قلت: يا جارية أنا بالليل خشبة «أي جثة هامة» وبالنهار جلبة «كثير السعي».

فلما بقي من الليل الثلث الأخير، ضربت عليّ الباب ضرباً عنيفاً وقالت: أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك؟!، قدّم لنفسك وخذ مكاناً فقد سبقك الخُدام، قال: فهاج مني كلامها وقيمتُ فأسبغت الوضوء وركعت ركعات ثم تحسست هذه الجارية في ظلمة

الليل فوجدتها ساجدة وهي تقول: إلهي بحبك لي إلا غفرت لي، فقلت لها: يا جارية، ومن أين علمت أنه يحبك؟، قالت أما سمعت قول الله تعالى: «يحبهم ويحبونه» ولولا محبته لي ما أقامني وأناملك، فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم، فدعت لي ثم خرجت وهي تقول: هذا العتق الأصغر، بقي العتق الأكبر «أي من النار».

حزنتُ عندما قرأت قول أحد الصالحين: إذا رأيتَ نفسك متكاسلاً عن الطاعة، فاحذر أن يكون الله قد كره طاعتك، قال تعالى في سورة التوبة: «كره اللهُ إنبعائهم فثبطهم» اللهم أهدنا، وارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلنا إلى حبك وأحب لقاءنا واجعلنا ممن يحب لقاءك.

والورع كما يقولُ أهل العلم ثلاث مراتب: اجتناب الحرام، واجتناب الشبهات، وترك بعض المباح خشية الوقوع في الشبهات، ولا يتمتع بالأخيرة إلا ذو حظ عظيم، فأَي إيمان كانوا يحملون، وأي غيبوبةٍ أعيش فيها أنا ومن حولي؟.

## صفحات من التاريخ

قرأتها فظننت أنها من خيال من كتبها، ولكنني صدمت عندما تأكدت منها من المصادر الغربية، فمعركة موهاكس مشهورة عندهم؛ حيث قُتل فيها الملك المجري وآلاف من النبلاء والجنود وما زالت مقبرة النبلاء موجودة وتزار إلى يومنا هذا.

معركة حقيقية كان المفروض أن تُدرّس لنا في المدارس ويُحتفل فيها كل عام، منها يمكن أن نعرف سبب تشويه الخلافة العثمانية وتسميتها بالاحتلال العثماني..؟!!!، ونعرف لماذا حَرّفوا التاريخ وقالوا إنها تركة الرجل المريض.؟ ولا يمكن أن تنساها أوروبا مهما طال الزمن. ذهب مبعوث سليمان القانوني لأخذ الجزية من «فيلاذ يسلاف الثاني» ملك المجر وزعيم أوروبا وقتها، وكانت المجر هي حامية الصليبية في أوروبا حينها، فقام بذبح رسول سليمان القانوني بإشارة من البابا في الفاتيكان، فقد استعدت الكنيسة وأوروبا جيّداً، فجهز سليمان القانوني جيشه، وكان عبارة عن (١٠٠) ألف مقاتل، و(٣٥٠) مدفعاً، و(٨٠٠) سفينة.

وحشدت أوروبا جيشها، وأقامت تحالفاً مكوناً من إحدى وعشرين دولة، يعني قارة أوروبا كلها إلا بعض ولايات فرنسا والبرتغال. فبلغ حشدهم (٢٠٠) ألف فارس، منهم (٣٥) ألف فارس مقنع كلياً بالحديد، فخرج لهم ملك المسلمين سليمان القانوني حفيد

القائد محمد الفاتح، لمسافة حوالي (١٠٠٠) كيلوا (طول مصر)، وفتح معظم القلاع في طريقه لتأمين الخطوط الخلفية، وفتح قلعة «بل اقراد» الحصينة. واجتاز بقواته نهر الطولة الشهير، وانتظر في وادي موهاكس، جنوب المجر، وشرق رومانيا، منتظراً جيوش أوروبا المتحدة بقيادة فيلاد والبابا نفسه.

كانت مشكلة سليمان التكتيكية هي كثرة فرسان الرومان والمجر المقنعين بالحديد، فهولاء الفرسان لا سبيل لإصابتهم بالسهم أو الرصاص أو المبارزة، لتدريعهم الكامل. فماذا يفعل؟، صلى الفجر، ووقف قائلاً لجنوده وهم ينظرون لجيوش أوروبا المتراصة، التي لا يرى الناظر آخرها.

فخطبهم حتى بكى الجيش الإسلامي، فهو في مواجهة معركة مصيرية واصطفّ الجيشان. اعتمدت خطة سليمان على الآتى: وضع تشكيل جيشه بطريقة ثلاثة صفوف على طول (١٠) كم، ووضع قواته الانكشارية في المقدمة وهم الصفوة، ثم الفرسان الخفيفة في الصف الثاني، معهم المتطوعة والمشاة، وهو والمدفعية في الصف الأخير.

هجم المجرىون عقب صلاة العصر على حين غرة، فأمر سليمان قوات الانكشارية بالثبات والصمود ساعة فقط، ثم الفرار. وأمر الصف الثاني الفرسان الخفيفة والمشاة بفتح الخطوط والفرار من على الأجناب، وليس للخلف. وبالفعل صمدت قوات الانكشارية الأبطال، وأبادت

قوات المشاة الأوروبية كاملة في هجومين متتاليين، بقوات بلغت عشرين ألفاً في الهجمة الوحده.

وانقضت ( القوة الضاربة ) للأوروبيين وهي قوات الفرسان المقنعة بالكامل، ومعها (٦٠) ألفاً آخرون من الفرسان الخفيفة. وحانت لحظة الفرار وفتح الخطوط وانسحبت الانكشارية للأجناب وتبعتها المشاة. أصبح قلب الجيش العثماني مفتوحاً تماماً، فانحدرت قوات أوروبا بقوة (١٠٠) ألف فارس مرة واحدة نحو قلب القوات العثمانية!!!.

فما الكارثة التي حلت بهم؟، أصبحوا وجها لوجه أمام المدافع العثمانية مباشرة على حين غرة، والتي فتحت نيرانها المحمومة وقنابلها عليهم من كل ناحية، ولساعة كاملة انتهى الجيش الأوروبي وأصبح من التاريخ...!!!.

وحاولت القوات الأوروبية في الصفوف الخلفية الهرب لنهر الطولة فغرقوا وداس بعضهم بعضاً، فغرق الآلاف منهم تزامناً، وسقط الفرسان المقنعين، بعد أن ذاب الحديد عليهم من لهب المدافع...!!!، وأراد الجيش الأوروبي الاستسلام.

فكان قرار سليمان الذي لن تنساه أوروبا له حتى الآن وللأترك العثمانيين وتذكره بكل حقد: لا أسرى!!!، وأخذ الجنود العثمانيون يناولون من يُريد الأسر من الأوروبيين سلاحه ليقاتل أو يُذبح حياً!!!،

وبالفعل قاتلوا قتال الميؤوس واليائس .

وانتهت المعركة بمقتل «فيلاذ»، والأساقفة السبعة الذين يمثلون

المسيحية، ومبعوث البابا، وسبعين ألف فارس..!!!.

وتم عمل عرض عسكري في العاصمة المجرية من قبل العثمانيين،

وقبّل الجميع يد سليمان تكريماً له، بمن فيهم الصدر الأعظم، ونظم

شؤون الدولة ليومين ورحل!!!، وارسل المسلمون في مكة والمدينة

والقدس ومصر رسائل التهئة للمكهم العظيم على هذا النصر الساحق.

انتهت أسطورة أوروبا والمجر، وجيوشهم!!!، ولا يزال

المجريون الى الآن يئنون من هذه الهزيمة، وأما المسلمون فقد استشهد

منهم (١٥٠٠) شهيد، وجرح ثلاثة آلاف، والجيش في كامل قوته لم

يُستنزف أبداً!!!.

**ملحوظة:**

هذه المعركة أغرب معركة في التاريخ، من حيث سرعة الحسم،

وما زالت تثير تساؤلات واستهجان وحقد ودهشة بعض المؤرخين

الأوروبيين. نشرها لكي يعرف المسلمون معنى العزة والنصر، ولكي

نعرف من هو السلطان سليمان القانوني الذي يصورونه مشوهاً في

مسلسل حريم السلطان الذي يُراد به تشويه تاريخ وجهاد هذا البطل

المجاهد!.

## الشهيد

في لحظة دقيقة وبعد هدوء المدافع والقصف العنيف، وعند البحث عن جثث الشهداء في أحد المناطق على أرض الشام، وجد الإخوة جثة شهيد بعمر (١٦) سنة ووجدوا في جيبه دفترًا صغيراً يستعمله لكتابة ذنوبه، بعد أن يُحاسب نفسه كل يوم، يكتب ذنوبه طوال الأسبوع، وقد بلغت فيه دقة المتابعة وحساسية الموقف أنه يكتب أموراً يظنها ذنوباً وما هي بذنوب.

الإثنين: نمت بدون وضوء.

الثلاثاء: ضحكت بصوت مرتفع.

الأربعاء: صليت قيام الليل سريعاً.

الخميس: عندما كنا نلعب وفزت بالهدف أحسست بالغرور.

الجمعة: لم أكمل ألف صلاة على النبي وصلت إلى سبعمئة

صلاة فقط.

السبت: رئيس المعسكر سبقني بالسلام.

الأحد: نسيت أذكار الصباح.

والعجيب أنه في جهاد ويعمل هذا!!، والرسول ﷺ يقول:

«رباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سَوْطِ

أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرُّوحَةُ يروحها العبد

في سبيلِ الله والغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها» (رواه البخاري).

فأين نحن وأولادنا من محاسبة أنفسنا؟!.

ودعونا نتعلم درساً من هذا الشهيد الصغير، ومن سابقه في الخيرات، الشهيد علاء عياد الذي رثاه الشاعر الفلسطيني محمد شحادة بعد استشهاده بيومين، بأبيات شعرية توقع فيها أن تخلد السماء اسمه، وتبعث بعلاء جديد، حيث قال:

هذا الفتى تكتب الأجداد سيرته      فيأتيه فخراً بالعلاء علاء

ولكنه لم يكن يتوقع أن يكون الجواب بهذه السرعة، ولم يكن يعلم أن السماء ستلي النداء بهذه الكيفية. حيث شهدت بيت لحم مكرمةً ربانيةً يتوافد على رؤيتها الآلاف، الذين يؤمنون أحد البيوت الكائنة بمخيم عايدة للاجئين، لمشاهدة طفل رضيع عده بعضهم معجزة رزقت به عائلته في ليلة القدر.

وتبدأ القصة بأن يُوصي الشاب علاء عياد، المجاهد القسامي صاحب السمعة الطيبة، والسلوك المشهور بالاستقامة، شاب تعلق قلبه في المسجد، ومن حملة كتاب الله، يجاهد لإعلاء كلمة الإسلام، هذا الشاب يُوصي شقيقه إياد، الذي كانت زوجته في بداية حملها، أن يسمي مولوده «علاء» إذا كان قد كتب الله للموصي الشهادة.

وتمر الأيام والمجاهد يبحث عن الشهادة، ويعمل لها حتى رزقها، على إثر الجريمة البشعة التي ارتكبتها الوحدات الخاصة

الصهيونية في عام (٢٠٠٣ م)، بالقرب من فندق شبرد، بمدينة بيت لحم. وقد توافدت أعداد كبيرة من المواطنين على منزل العائلة في مخيم عايده، بالقرب من مدينة بيت لحم، لتقديم التهاني بإحراز هذا الشرف العظيم.

ورغم أن العدو حاول أن يمحو ذكر الشهيد في الدنيا بقتله، إلا أن الله - تبارك وتعالى - أدخله سجل الخالدين، وأحيا اسمه في الدنيا، ولكن بلون جديد، وطريقة جديدة، وغير معتادة، وأدخله وإخوانه مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

وتمضي شهور الحمل عند زوجة شقيق الشهيد بسلام، وينمو الجنين، وتتدخل العناية الإلهية، لتخلد الشهيد، ويرى الناس ذلك بأم أعينهم. فقد وُلد الجنين في المستشفى الفرنسي بمدينة بيت لحم، في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، ليكون مولوداً ذكراً، مسطراً على خده الأيمن اسم عمه الشهيد علاء.

وكان مفاجأة، بل بُشرى خير للعائلة كاملة، بل للناس جميعاً، الأحرف الثلاثة الأولى من اسم الشهيد علاء واضحة غاية الوضوح، على الخد الأيمن، في حين يظهر الحرف الرابع «الهمزة» خلف الأذن بشكل واضح. وقد توافد أكثر من ستة آلاف مواطن من محافظات بيت لحم والخليل والقدس، منهم المسلمون ومنهم غير ذلك، منهم أطباء وأكاديميون من الجامعات المحلية، إضافة إلى

عدد كبير من الصحفيين، ومحطات التلفزيون المحلية والفضائية، على منزل العائلة، لرؤية هذا الطفل بل هذه المعجزة. وقد ظهر ذلك مراراً وتكراراً على شاشات التلفزة، والصحف الأجنبية والمحلية، وعلى صفحات الإنترنت (من يريد أن يراه يجد صورته واضحة في كتابي الميكروبات وكرامات الشهداء).

هذا الطفل سُمي علاء، على اسم عمه الشهيد، حسب توصيته، وكأن الشاعر الذي رثى الشهيد كان يعرف بأن علاء الجديد، سوف يأتي من جديد وقد توشح خده باسم عمه الشهيد علاء، وصدق حدس هذا الشاعر، فقد مُجِّد في الأرض، ورزق كرامات، وخلوداً في جنان النعيم. وما هذه القصص إلا غيض من فيض، وقبس من مشكاة، وهناك ما هو أكثر.

ولضبط الشهادة، وتحديد من هو الشهيد، وضع العلماء شروطاً للشهادة، استخلصوها من كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ .

### أولاً: الإسلام

فالكافر لا يُقبل له صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ولا جهاد، ولا غيره ما دام كافراً، لذلك فالكفرة لا تنفعهم أعمالهم ولا عباداتهم، لأنها صادرة عن عقيدة باطلة، واعتقاد فاسد.

### ثانياً: النية

إخلاص النية لله سبحانه وتعالى مطلوبٌ من المسلم، في جميع

عباداته وأعماله، فالنية الصالحة تحوّل عمل المسلم إلى عبادة يُؤجر عليها، ويُناب عليها، ولأهمية ذلك كان علماء السلف يفتتحون مؤلفاتهم بحديث الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» (رواه البخاري).

والنية والإرادة والقصد تأتي على معنى واحد، وهي حالات وصفات قلبية، لا سبيل للبشر إلى قياسها، بل لا يعلمها إلا الله. والشهادة منوطة بالنية، فلا يكون الشهيد شهيداً إلا إذا قُتل في سبيل الله، لإعلاء كلمته، ونصرة دينه، مقبلاً غير مدبر.

### ثالثاً: أن تكون الشهادة في قتال مشروع

والقتال المشروع هو ما كان في سبيل الله، فالإسلام لا يعرف قتالاً إلا في هذا السبيل، لا يعرف القتال للغنيمة، ولا للسيطرة، ولا للمجد الشخصي، أو القومي. إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان، أو الخامات الصناعية، والأسواق الاستهلاكية، إنه لا يقاتل لمجد طبقة، أو دولة، أو أمة، أو جنس، إنما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه في تصريف الحياة، وإشاعة العدل بين الناس... فإذا قاتل المسلم بهذا المفهوم الرباني ثم قُتل، فاز بالشهادة ونال مقام الشهداء عند الله.

رابعاً: أن يقتل في المعركة مقبلاً غير مدبر

والخوف حالة نفسية ضاغطة، تترك صاحبها وتقهره أحياناً، وتستشري في كيانه كله، النفسي والبدني. ولكن المؤمن يتغلب على ذلك بقوة إيمانه، لأنه يعلم أن الأجل بيد الله، وان قوته موصولة بقوة الله، الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، فلا يمكن لمؤمن مجاهد في سبيل الله، أن يتوَلَّى يوم الزحف، خوفاً على الحياة، لأنه يعلم يقيناً أنه إلى الله، إن كان حياً، وإلى الله، إن كُتبت له الشهادة، فكيف يفكر بالفرار من كانت الشهادة أمنيته، وها قد حانت فرصته ... !؟

فمن اجتمعت به هذه الشروط الأربعة، واصطفاه الله واختاره لجواره فقد فاز فوزاً عظيماً، وأصبح الشهيد الحي، الذي ينال أوسمة الدنيا والآخرة، وسلسلة من الامتيازات والكرامات، التي يستحيل على مدارك البشر استيعابها.

## قبل فوات الأوان!

أقيمت دورة نسائية للأمهات اللاتي لديهن أبناء وبنات متزوجون، من قبل أحد مشاهير المدربين المهتمين بموضوع الأسرة، كانت مدتها اسبوعاً، وخلال الدورة سألت الأمهات عن ما يضايقهن من بناتهن أو أبنائهن المتزوجين.

لم تذكر أي أم أن بناتها أو أبناءها يرفعون أصواتهم عليها، أو يضرّبونها، لكنهن ذكرن الكثير من النقاط الأخرى، التي قد تكون صفة لنا، حين نعلم بها، وهذه أهم النقاط المشتركة التي ذكرتها الأمهات:

-أحب ابنتي وأبناءها جداً ولكن يزعجني أنها ترى بيتي، كمتنفس لهم، فهي تزورني مع أبنائها الذين يلعبون في كل شيء، ويعبثون بكل شيء، دون أن تنبس هي بكلمة واحدة لهم.

-أحب ابنتي جداً ولكنّها لا تترك هاتفها الجوال من يديها وهي تنتقل من برنامج لآخر وتضحك وتكتب وكأنها في عالم آخر.  
-تزورني ابنتي تقريباً بشكل أسبوعي، وتقضي أيام الأسبوع معي، لأن زوجها يعمل في منطقة أخرى، وحين تكون معي، لا تكف عن الشكوى من ابنها الذي لا ينام، وتتعذر به في كل شيء.

-لا نراها إلا ساعة في اليوم، وبقية يومها في غرفتها التي تركها كالخضيرة بعد خروجها، وعليّ أن أرتبها أو أخبر خادمتي،

أن تنظفها بعمق قبل قدوم ابنتي وبعد ذهابها . أراها هكذا وأتساءل؟  
هل غرفتها في بيت زوجها هكذا؟ أصمت متحسراً... لأنني أعرف  
الإجابة .

-أشفاق كثيراً إلى أحفادي الذين يسكنون معي في نفس  
البيت، فأنا لا أكاد أراهم إلا دقائق معدودة في اليوم، لأنهم يقضون  
معظم وقتهم في غرفهم، وحين أسأل عنهم، يُخبرني والدهم  
ووالدتهم بأن عليهم الكثير من الدروس والأعمال المدرسية.  
-ابنتي تُبدع في أصناف الطعام عند وجود زوجها، تُصور  
لي إبداعاتها، التي تعلمتها مني، تُخبرني عن سعادة زوجها، بكل ما  
تطهوه، وأحياناً تتصل بي عندما تعلم أنني طبخت شيئاً معيناً لتخبرني  
أنها تشتهيها، فهي واحمهُ!!، تفتخر أمام زوجها أنني أدللها وأبني  
طلباتها، ولا تعلم أنني تمنيت أن تدخل بيتي يوماً بطبقٍ من صنَّع  
يديها.

-تمنيت أن تُدللني كما تُدلل زوجها لكنني لم أخبرها بذلك  
يوماً، لأنها حين تزورني، تُشعرنني أنها تكاد تموت من ضغط أبنائها،  
وأنها لا تجدُ الوقت أبداً .

-كلما زارتنِي إبنتي تخبرني عن مرضها والمها، تشتكي لي من  
تعبها مع أبنائها، تكونُ متقلبة الحال طيلة فترة وجودها معي، ولكن  
هذا الحال ينقلب إلى العكس تماماً بمجرد اتصال زوجها .

-بناتي عندما يأتين لزيارتي، يأتين للنقاهاة والراحة فقط، أو للقاء بعضهن وبعضهن، يتهربن من دعوتي، ودعوة بعضهن في بيوتهن حتى لا يتعبن، تأتي بعضهن خالية اليدين.

-يعلمن أني أفرح بمجيئهن هن وأبنائهن، يأتون وكأنهم ضيوف، يأكلن ويشربن، حتى أبناءهن يتركن رعايتهم لي، لأنني أحبهم، لا أنكر محبتي لهن، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يتركن أبناءهن، يعشون بمنزلي وهن لا يُجركن ساكنًا.

-تُهمل بعضهن نظافة أبنائها، وأكلهم وشربهم، وعندما أتبه إحداهن لذلك، تقول:أنهم يفعلون ذلك أمامي فقط، وأنهم لا يسمعون كلامها، لأنني أدللهم وأحبهم، لا تكلف نفسها بتنظيف شيء في البيت، وقد تذهب وهي تاركة أو ناسية أكثر ملابس أبنائها المتسخة عندي، والمكان الذي ينامون فيه، فيه كثيرٌ من الفوضى واللامبالاة، فأقوم أنا بالترتيب وراءهم والتنظيف.

-تعبت عليهن كثيراً حتى كبرن، أحلم بيوم أرتاح فيه، وأخلو فيه بنفسني ولنفسني، أحلم بمن يساعدي، ولكن أني لي ذلك في زمن اللامبالاه والعقوق الصامت، في زمن شعاره اللهم نفسي وعلى الدنيا السلام.

وربما لو عُقدت مثل هذه الدورة للأباء، لشكوا من أبناءهم وبناتهم وأحفادهم ضعف شكوى الأمهات، لأنهم رغم تحاملهم

على أنفسهم إلا أنهم لا يُطبقون الفوضى والإزعاج عند الكبر، كيف  
لا وقد تعودوا على الهدوء والرتابة بعد انفضاض الأولاد والبنات  
من البيت بحكم الزواج.

فيا هؤلاء، بنات وبنين، انتبهوا قبل فوات الأوان، قبل رحيل  
من لا تحسون بمعاناتهم، فتندمون أشد الندم، ولات حين مندم،  
فرغم فرحتنا بمجيء الأولاد والبنات والأحفاد، إلا أنه أصبح عبئاً  
علينا، ويؤرقنا كثيراً.

## أسد الصحراء

هو السيّد عمر بن مختار بن عمر المنفي الهلالي، الشهير بعمر المختار، الملقب بشيخ الشهداء، وشيخ المجاهدين، وأسد الصحراء، وأحد أشهر المقاومين العرب والمسلمين. ينتمي إلى بيت فرحات من قبيلة منفة الهلالية التي في بادية برقة في ليبيا. كان عمر المختار رجلاً معتدل الجسم، عريض المنكبين، شعر رأسه ولحيته أبيض ناصع البياض، وقد كان متمسكاً بدينه بقوة، وكان مؤمناً بمبدأ الجهاد ومتحمساً له حماساً عظيماً. وصفه الجنرال غراتسياني بأنه كان حادّ الذكاء واسع الثقافة قاسي الطباع، إلا أنّه شديد النزاهة والتواضع، فكان فقيراً لا يملك شيئاً. وقال عنه أيضاً أنه متديّن متعصب، إلا أنه رحيّم عندما تكون المقدرة في يده، وشديد الولاء والإخلاص لوطنه. وقال: ذنبه الوحيد أنه كان يكرهنا كثيراً، وفي بعض الأحيان يسلّط علينا لسانه، ويعاملنا بغلظةٍ مثل الجبليّين، كان دائماً معادياً لنا ولسيّساتنا في كافة الأحوال، ولا يلين أبداً، ولا يهادن، إلا إذا كان الموضوع في صالح وطنه ليبيا، ولم يخن قيادته، فهو دائماً موضع الاحترام رغم التصرّفات التي تبدر منه في غير صالحنا.

هذا المجاهد الليبي حارب قوات الغزو الإيطالية منذ دخولها أرض ليبيا، حاربهم وهو يبلغ من العمر (٥٣) عاماً لأكثر من

عشرين عاماً في عدد كبير من المعارك، إلى أن قبض عليه من قبل الجنود الطليان، وأجريت له محاكمة صوريّة انتهت بإصدار حكم بإعدامه شنقاً، فنُفذت فيه العقوبة على الرغم من أنه كان كبيراً عليلاً، فقد بلغ في حينها (٧٣) عاماً وعانى من الحمى. وكان الهدف من إعدام عمر المُختار إضعاف الروح المعنويّة للمجاهدين الليبيين والقضاء على الحركات المناهضة للحكم الإيطالي.

لكن النتيجة جاءت عكسية، فقد ارتفعت حدّة الثورات، وانتهى الأمر بأن طُرد الطليان من البلاد.

كسب عمر المُختار إعجاب الكثير من الناس وتعاطفهم أثناء حياته، وأشخاص أكثر بعد إعدامه، فأخبار الشيخ الطاعن في السن الذي يُقاتل في سبيل بلاده ودينه استقطبت انتباه الكثير من المسلمين والعرب الذين كانوا يُعانون من نير الاستعمار الأوروبي في حينها، وحثت المقاومين على التحرك، وبعد وفاته حصدت صورته وهو مُعلّق على حبل المشنقة تعاطف أشخاص أكثر، من العالمين الشرقي والغربي على حد سواء، فكبر المُختار في أذهان الناس وأصبح بطلاً شهيداً.

في صباح اليوم التالي للمحاكمة، أي الأربعاء في (١٦) سبتمبر (١٩٣١م)، أُخذت جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم بإحضار جميع أقسام الجيش والمليشيا والطيران،

وأحضر (٢٠٠) ألف من الأهالي وجميع المعتقلين السياسيين خصيصاً من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم في قائدهم.

وأحضر المختار مُكَبَّل اليدين، وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً سُلِّم إلى الجلَّاد، وبمجرد وصوله إلى موقع المشنقة أخذت الطائرات تحلق في الفضاء فوق ساحة الإعدام على انخفاض، وبصوت مدوّ لمنع الأهالي من الاستماع إلى عمر المختار إذا تحدث إليهم أو قال كلاماً يسمعون، لكنه لم ينبس بكلمة، وسار إلى منصة الإعدام وهو ينطق بالشهادتين، وروي عن بعض الناس الذين كانوا على مقربة منه أنه كان يؤذن في صوت خافت آذان الصلاة عندما صعد إلى الحبل، وبعضهم قال أنه تتمم بالآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿١٨﴾﴾ (الفجر ٢٧-٢٨)، وبعد دقائق كان قد علّق على المشنقة وفارق الحياة.

سبق إعدام المختار أوامر شديدة الحزم بتعذيب وضرب كل من يُبدي الحُزن أو يُظهر البكاء عند تنفيذ الحكم، فقد ضُرب «جربوع عبد الجليل» ضرباً مبرحاً بسبب بكائه عند إعدام عمر المختار. ولكن أصوات الاحتجاج علت ولم تكبحها سياط الطليان، فصرخت «فاطمة داروها العباريّة» وندبت فجيعة الوطن عندما علا المختار مشنوقاً، ووصفها الطليان «بالمرأة التي كسرت جدار الصمت».

حاولت إيطاليا الاستفادة من إعدام عمر المختار، فعملت على

استمالة المجاهدين إليها وإقناعهم أنَّ المقاومة لا فائدة تُرجى منها بعد أن سقط الرأس المُدبّر، لكن المجاهدين أبوا واجتمعوا وانتخبوا الشيخ «يوسف بورحيل المساري» قائداً للجهاد الإسلامي ووكيلاً عاماً للجهاد. وعلى أثر هذا التنصيب كلّف الشيخ «عبد الحميد العبّار» بالرحيل نحو شرق البلاد للقيام بحث الناس على الانخراط في جيش المجاهدين وحمل السلاح لمكافحة الجيوش والجهاد في سبيل العقيدة الإسلامية والدين. ولم يكن لمقتل المختار الأثر الذي توقعه الطليان، فلم يخف عزمهم أو يتلاشى، بل ازدادوا تصميمًا على القتال وتحرير البلاد من المحتل الأجنبي، فواصلت الحكومة الإيطالية حملات الانتقام ضدهم، حتى كانت الواقعة الحاسمة عند الحدود المصريّة قرب الأسلاك الشائكة وبهذه النهاية انكسرت شوكة المجاهدين وتعثرت خطواتهم وأخذت حركة الجهاد في ليبيا، واستتب الأمر لإيطاليا حتى حين، فعملت على خلق هويّة جديدة للبلاد وحاربت الإسلام بعدة وسائل طيلة (١١١) عاماً، لكنها سرعان ما انشغلت بنشوب الحرب العالمية الثانية، التي خرجت منها خاسرة بعد بضع سنوات، وانسحبت كلياً من ليبيا، وكفى الله المؤمنين القتال.

وقد رثاه عدد من الشعراء بعد إعدامه، وكان أبرزهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته المشهورة:

يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءٍ  
تُوْحِي إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ  
بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءَ  
تَتَلَمَّسُ الْحُرِّيَّةَ الْحَمْرَاءَ  
يَكْسُو السُّيُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءَ  
أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءَ  
وَكُهُولِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْيَاءَ  
دَخَلُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْجُوزَاءَ  
وَتَوَعَّغُوا فَاسْتَعْمَرُوا الْخَضْرَاءَ  
دَارَ السَّلَامِ وَجَلَّقَ السَّمَاءَ  
لَمْ تَبْنِ جَاهًا أَوْ تَلْمَّ ثَرَاءَ  
لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبَّ الْمَاءَ  
ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَاجِلًا وَنِسَاءَ  
لَا يَمْلِكُونَ مَعَ الْمَصَابِ عَزَاءَ  
يَبْكَونَ زَيْدَ الْحَيْلِ وَالْفَلْحَاءَ

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرِّمَالِ لِيُؤَاءَ  
يَا وَيَجْهْمُ نَصَبُوا مَنَارًا مِنْ دَمٍ  
مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعَلَاقَةَ فِي عَدِ  
جُرْحٍ يَصِيحُ عَلَى الْمَدَى وَضَحِيَّةً  
يَا أَيُّهَا السَّيْفُ الْمُجَرَّدُ بِالْفَلَا  
تِلْكَ الصَّحَارِي غِمْدُ كُلِّ مُهَنْدٍ  
وَقُبُورُ مَوْتِي مِنْ شَبَابِ أُمِّيَّةٍ  
لَوْ لَازَ بِالْجُوزَاءِ مِنْهُمْ مَعْقِلٌ  
فَتَحُوا الشَّمَالَ سُهُولَهُ وَجِبَالَهُ  
وَبَنُوا خَضَارَتَهُمْ فَطَاوَلَ رُكْنُهَا  
خَيْرٌ فَاخْتَرْتَ الْمَبِيتَ عَلَى الطَّوَى  
إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظَّمَا  
إِفْرِيْقِيَا مَهْدُ الْأَسْوَدِ وَوَلَحْدُهَا  
وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى إِخْتِلَافِ دِيَارِهِمْ  
وَالْجَاهِلِيَّةُ مِنْ وَرَاءِ قُبُورِهِمْ

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحِفْظِهِ  
لَمْ تَبْقِ مِنْهُ رَحَى الْوَقَائِعِ أَعْظَمًا  
كَرَفَاتٍ نَسْرٍ أَوْ بَقِيَّةٍ ضِعْمٍ  
بَطْلُ الْبِدَاوَةِ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو عَلَى  
لَكِنْ أَخُو خَيْلٍ حَمَى صَهَوَاتِهَا  
لَبَّى قَضَاءِ الْأَرْضِ أَمْسٍ بِمُهْجَةٍ  
وَإِفَاهُ مَرْفُوعِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ  
شَيْخٌ تَمَالَكَ سَنَّهُ لَمْ يَنْفَجِرْ  
وَأَخُو أُمُورٍ عَاشَ فِي سَرَائِهَا  
الْأَسَدُ تَزَارَى فِي الْحَدِيدِ وَلَنْ تَرَى  
وَأَتَى الْأَسِيرُ يُجْرُّ ثِقْلَ حَدِيدِهِ  
عَضَّتْ بِسَاقِيهِ الْقَيْوُدُ فَلَمْ يَنْوُ  
تَسْعُونَ لَوْ رَكِبَتْ مَنَاكِبَ شَاهِقٍ  
خَفِيَتْ عَنِ الْقَاضِي وَفَاتَ نَصِيْبُهَا  
وَالسُّنُّ تُعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهْذَبٍ

جَسَدٌ بِرُقَّةٍ وَسَدِّ الصَّحْرَاءِ  
تَبَلَى وَلَمْ تَبْقِ الرِّمَاحُ دِمَاءَ  
بَاتَا وَرَاءَ السَّافِيَاتِ هَبَاءَ  
تَنَكُّ وَلَمْ يَكْ يَرْكَبُ الْأَجْوَاءَ  
وَأَدَارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الْهَيْجَاءَ  
لَمْ تَخَشْ إِلَّا لِلِسَّمَاءِ قَضَاءَ  
سُقْرَاطُ جَرَّ إِلَى الْقَضَاةِ رِدَاءَ  
كَالطِّفْلِ مِنْ خَوْفِ الْعِقَابِ بُكَاءَ  
فَتَغَيَّرَتْ فَتَوَقَّعَ الضَّرَاءَ  
فِي السِّجْنِ ضَرْغَامًا بَكَى اسْتِخْذَاءَ  
أَسَدٌ يُجْرُّ حَيَّةً رَقِطَاءَ  
وَمَشَتْ بِهَيْكَلِهِ السُّنُونُ فَنَاءَ  
لَتَرَجَلَتْ هَضْبَاتُهُ إِعْيَاءَ  
مِنْ رَفِقِ جُنْدٍ قَادَةَ بُبْلَاءَ  
عَرَفَ الْجُدُودَ وَأَدْرَكَ الْآبَاءَ

يَأْسُو الْجِرَاحَ وَيُعْتِقُ الْأَسْرَاءَ	دَفَعُوا إِلَى الْجَلَادِ أَغْلَبَ مَا جِدًّا
وَيَصِفُّ حَوْلَ خِوَانِهِ الْأَعْدَاءَ	وَيُشَاطِرُ الْأَقْرَانَ دُخْرَ سِلَاحِهِ
لِلَّيْثِ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الْحُوبَاءَ	وَتَخَيَّرُوا الْحَبْلَ الْمَهِينِ مَنِيَّةً
مَنْ كَانَ يُعْطِي الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ	حَرَمُوا الْمَمَاتَ عَلَى الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
بِالْحَقِّ هَدْمًا تَارَةً وَبِنَاءَ	إِنِّي رَأَيْتُ يَدَ الْحَضَارَةِ أَوْلَعَتْ
إِلَّا أَبَاةَ الضُّعِيمِ وَالضُّعْفَاءَ	شَرَعَتْ حُقُوقَ النَّاسِ فِي أَوْطَانِهِمْ
فَأَصْوَعُ فِي عُمَرَ الشَّهِيدِ رِثَاءَ	يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْقَرِيبُ أَسَامِعْ
أُذُنِيكَ حِينَ تُخَاطَبُ الْإِصْغَاءَ	أَمْ أَلْجَمْتَ فَانْكَ الْخُطُوبُ وَحَرَمْتَ
فَإِنْ قَدَرِ جَالِكَ وَإِخْتَرِ الزُّعْمَاءَ	ذَهَبَ الزَّعِيمُ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدٌ
وَإِحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الْأَعْبَاءَ	وَأَرِحْ شُيُوكَ مِنْ تَكَالِيفِ الْوَعَى

أصبح المختار عند العرب عموماً والمسلمين منهم خصوصاً شهيداً بطلاً، ومثال القائد الصالح صاحب العقيدة السليمة السويّة، الذي بذل نفسه وماله للدفاع عن دينه وبلده ضدّ عدو عنصري لا يعرف الشفقة. كما أصبحت إحدى كلماته الأخيرة: «نحن لا نستسلم... نتصر أو نموت.... وهذه ليست النهاية... بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التي تليه... أمّا أنا...

فإن عمري سيكون أطول من عمر شانقي» أصبحت إحدى أبرز العبارات على لسان المقاومين في بعض الدول العربية التي عرفت الاحتلال.

هذا المجاهد الكبير لم يُعده كِبْرُ سنه عن القيام بالواجب، فانطبق عليه قول الشاعر:

وإذا كانتِ النَّفُوسُ كِبَاراً      تَعِبَتْ في مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في مستقر رحمته.

## فالتقمه الحوت...!

لو ذكرت لنا قصة يونس عليه السلام في غير القرآن والسنة، لما صدقتها العقول!!...بداية القصة ربما لا يعرفها كثير من الناس...دعا قومه طويلاً .

فأعرضوا عنه، فتركهم مغاضباً، قبل أن يأذن الله له، لأنه ظن أنهم لن يهتدوا.

«فظن أن لن نقدر عليه»، يعني أن لن نُضَيِّقَ عليه، كان يتصور يونس أن الله لن يُعَاتِبَهُ على صنيعه، ركب البحر في قارب مع مجموعة من الناس، وفي وسط البحر، هاجت الأمواج وماج القارب، فقرروا تخفيف أحمالهم، وإنزال بعض رُكَّابهم.

وبعد ثلاث مرات من القرعة، يظهر اسم يونس فنزل في البحر، ليلقى مصيره العجيب الذي صار خالداً «فالتقمه الحوت وهو مليم».

وهذه تغريدات وتأملات في القصة و بطن الحوت !

-في حياتك .. ضع قاعدة عامة .. لن تتغيّر....إنك إذا عصيت الله أو خالفته، هبى نفسك .. لعقوبة، قال الله تعالى:  
﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ ﴿ النساء١٢٣﴾.

-العجيب أن يونس عليه السلام لما رجع من كرب الحوت .. وجد قومه قد آمنوا بالله، لا تياس من هداية أحد مهما كان مُعرضاً مذنباً.

-في حادثة القرعة وثبت اسم يونس فائدة، أحياناً في حياتك تشعر أن الله يُريد لك طريقاً قد تكرهه نفسك! ولكنه في النهاية خيرٌ لك!.

-مسألة أن الله يُعاقبك على الذنب، هذا الشيء انظر إليه بإيجابية، وهو أن الله يُريد تطهيرك وليس الانتقام منك!.

-أمر الله حوتاً من أقصى البحار وعميقها أن يبتلع يونس، وأن لا يكسر له عظماً ولا يأكل منه لحماً، بطن الحوت فيه من الحرارة ما يصهر الحديد، إذا حفظ الله يونس من حرارة بطن الحوت، فاعلم حينها أن الله عز وجل قد يبتليك ويحميك ليرفع لك قدراً ويغفر لك ذنباً.

-لم ينفع يونس في بطن الحوت شيء كما نفعه الإيمان بالله والعلم به وعمله الصالح.

-اجعل لك مع الله زاداً ينفعك في بطن حوت أحزانك، حينما أدرك يونس عليه السلام أنه في مكان، لا يراه ولا يسمعه أحد من الكائنات، علم يقيناً أنه لا ينفع إلا الاستغاثة بالله وحده.

-قد يكون في قلبك وروحك من الداء والهمل والقلق والخوف والضيق ما لا يعلمه إلا الله، عالج كل ذلك بسجدة تنثر فيها الله كل أشجانك.

-الظلمات الثلاثة هي: بطن الحوت وظلمة الليل وقاع

البحر، قد تكون في بعض أحوالك غارقاً في ظلمات أحزانك، لا يقشع عن قلبك سوادها إلا أنوار الدعاء.

-لما هتف يونس عليه السلام بدعائه المشهور، قالت الملائكة: يا رب .. صوت معروف من مكان غير معروف... حين تكون مع الله فإن الملائكة تشفع لك.

-قول الملائكة صوت معروف .. دليل على أن أهل القيام والصلاة والدعاء تعرفهم الملائكة، وتسمع أصواتهم، وتكون بقرهم، وهذا هو المجد والشرف.

-تأملوا جيداً في السلاح الذي استعمله يونس!، سلاح عجيب وتأثيره رهيب، لما حوى جميل الشئ على الله والاعتراف بذنبه، وحبه لربه.. «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، كلمات خلّدها الله، تُشعّ بالنور، تروي الظمآن وتغيث الملهوف.

-اغرسها في قلبك غرساً، في ضيقك لن ينفعك إلا الله، في عُسرِكَ لن يُغنِيكَ إلا الله في رغباتك وأمنياتك، لن يعطف عليك ويُحسِن إليك أحد إلا الله، فلا تطرق باب غيره .

-لا إله إلا أنت، توحيد لله سبحانك، تنزيه الله عن كل النقائص.. إني كنت من الظالمين .. الاعتراف بالذنب، هذه أركان إجابة الدعاء ورفع البلاء.

-فلولا أنه كان من المُسبِّحين للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون، أهل

التسبيح كتب الله على نفسه أن كربهم لا يطول وضيقهم لا بد أن يزول.  
-الله ربك ورب يونس .. فالذي أعطاه سيُعطيك، والذي فرج  
همه سيُفرِّج همك والذي أنجاه سيُنْجيك. ولكن قل لله مثل ما قال،  
ولكن ييقين!.

-إني كنت من الظالمين...لن تُصلح أخطاؤك حتى تعترف بها  
.. ولن تُغفر لك الذنوب حتى تتبرأ منها، الاعتراف انفعال وجداني  
ضروري جداً جداً.

-قال يونس: اللهم يارب إني أدعوك في مكان لم يدعك به أحد،  
وسجدتُ لك في مكان لم يسجد فيه أحد، ثم هتف بدعائه ثم شقت  
هذه الدعوات حالك الظلمات!.

-إياك أن تظن أن لك ذنباً مهماً كان عظيماً لن يغفره الله، أو أن  
عليك كرباً قاتلاً لن يفرجه الله، ألقى همك على الله سيحملك ويحمل  
هملك.

-حوت يونس كان يُناسب حجم إيمانه وبلائه، كل واحد فينا  
له حوت من الأحزان يناسبه، كلما كان إيمانك عظيماً وذكرك لله كثيراً،  
أنت ستبتلع حوتك!.

-الذاكر لله كثيراً والمُسَبِّح بحمد ربه، لن تكسره الكربات ولن  
توقفه العثرات سائراً إلى الله بقلبه، أحلامه مُحَقَّقة وخطواته مُوفِّقة،  
فالقلب كلما كان حياً واللسان ذاكراً، زاد إيمان العبد.

-ومن زاد إيمانه وعمل صالحاً وقال: «وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد»، منطلقة من حجرات قلبه لتقرع أبواب السماء؛ من العبد الذي تعب وذاق الآلام وتعثر بالأخطاء وجرحته الذنوب وأرهقه الغم والحزن، إلى الركن الشديد، إلى العلي القدير، فقد وصل!.  
-أفوض أمري إلى من بيده الأمر، إلى من يملك خزائن السموات والأرض إلى الذي كل يوم هو في شأن، إلى الله... البصير بالعباد، يبصر ما في القلب من خفقات، وما في العين من حركات.. وما في الفكر من ومضات.. وما في الروح من زفرات.

-أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، ما أجملها حين تفقد القدرة على التفكير، ما أعظمها حين تتقاذفك الحيرة، ما أعذبها حين تهدد قلبك الصغير، ما أرقها وهي تنساب في جوارحك فتبعث السكينة والسلام في أعماقك الصاخبة، لتشعر فجأة بأنك طائر مخلوق خفيف مع أنك قبل ثوان كانت الجبال فوق صدرك وأنت مكبل بقيود الحديد!.

-تمتم بها لتذوق حلاوتها، وكلما ضاقت؛ تتمم وردد ما قاله يونس عليه السلام: «لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين» ومن ذاق عرف!.

## مغزى الحياة

قرأت هذا المقال القيمّ ربما قبل عام، ورغم أنني احتفظ بما يُعجبني من المقالات؛ إلا أنني فقدته في حينها، ولإعجابي بمضمونه تمنيت أن اعثر عليه لإعادة نشره، فقد ذكر غير واحدٍ، أن هذا المقال يستحق أن يُقرأ مائة مرة، فهو من فرائد العالم الفاضل الدكتور «راغب السرجاني» حيث يقول:

تدبرت كثيراً في مسألة قيام الأمم، فلاحظت أمراً عجباً، وهو أن فترة الإعداد تكون طويلة جداً قد تبلغ عشرات السنين، بينما تقصر فترة التمكين حتى لا تكاد أحياناً تتجاوز عدة سنوات!! . فعلى سبيل المثال، بذل المسلمون جهداً خارقاً لمدة تجاوزت ثمانين سنة؛ وذلك لإعداد جيش يواجه الصليبيين في فلسطين، وكان في الإعداد علماء ربانيون، وقادة بارزون، لعل من أشهرهم: «عماد الدين زنكي» و«نور الدين محمود» و«صلاح الدين الأيوبي»، رحمهم الله جميعاً، وانتصر المسلمون في حطين، بل حرروا القدس وعدداً كبيراً من المدن المحتلة، وبلغ المسلمون درجة التمكين في دولة كبيرة موحدة، ولكن - ويا للعجب - لم يستمر هذا التمكين إلا ست سنوات، ثم انفرط العقد بوفاة صلاح الدين، وتفتتت الدولة الكبيرة بين أبنائه وإخوانه، بل كان منهم من سلم القدس بلا ثمن تقريباً إلى الصليبيين!! .

كنت أتعجب لذلك حتى أدركت السُّنة، وفهمت المغزى، إن المغزى الحقيقي لوجودنا في الحياة ليس التمكين في الأرض وقيادة العالم، وإن كان هذا أحد المطالب التي يجب على المسلم أن يسعى لتحقيقها، ولكن المغزى الحقيقي لوجودنا هو: عبادة الله، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦).

وحيث إننا نكون أقرب إلى العبادة الصحيحة لله في زمن المشاكل والصعوبات، وفي زمن الفتن والشدائد، أكثر بكثير من زمن النصر والتمكين، فإن الله - من رحمته بنا - يطيل علينا زمن الابتلاء والأزمات؛ حتى نظل قريبين منه فننجو، ولكن عندما نُمكن في الأرض ننسى العبادة، ونظن في أنفسنا القدرة على فعل الأشياء، ونفتن بالدنيا، ونحو ذلك من أمراض التمكين.. قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ يَرْيَجُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجِجْتَنَا مِنْ هُدَاهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ فَتَمَّ أَجْلُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس ٢٢- ٢٣).

ولا يخفى على العقلاء أن المقصود بالعبادة هنا ليس الصلاة

والصوم فقط، إنما هو في الحقيقة منهج حياة، إن العبادة المقصودة هنا هي: صدق التوجه إلى الله، وإخلاص النية له، وحسن التوكل عليه، وشدة الفقر إليه، وحب العمل له، وخوف البعد عنه، وقوة الرجاء فيه، ودوام الخوف منه، إن العبادة المقصودة هي أن تكون حيث أمرك الله أن تكون، وأن تعيش كيفما أراد الله لك أن تعيش، وأن تحب في الله، وأن تبغض في الله، وأن تصل لله، وأن تقطع لله..إنها حالة إيمانية راقية تتهاوى فيها قيمة الدنيا؛ حتى تصير أقل من قطرة في يَمِّ، وأحقر من جناح بعوضة، وأهون من جدي أسكّ ميت، كم من البشر يصل إلى هذه الحالة الباهرة في زمان التمكين؟!...إنهم قليلون قليلون!.

ألم يخوفنا حبيبنا ﷺ من بسطة المال، ومن كثرة العرض، ومن انفتاح الدنيا؟! ألم يقل لنا وهو يحذرنا: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»؟! ألا نجلس معاً، ونأكل معاً، ونفكر معاً، ونلعب معاً، فإذا وصل أحدنا إلى كرسي سلطان، أو سدة حكم، نسي الضعفاء الذين كان يعرفهم، واحتجب عن «العامة» الذين كانوا أحبابه وإخوانه?!.

ألم يحذرنا حبيبنا من هذا الأمر الشائع فقال: «مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ

وَفَقْرِهِمْ، اِحْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ“؟!، هل  
يحتجب الفقير أو الضعيف أو المشرد في الأرض؟، لا.. إنما يحتجب  
الممكن في الأرض، ويحتجب الغني، ويحتجب السلطان.

إن وصول هؤلاء إلى ما يريدون حجب أغلبهم عن الناس،  
ومن كانت هذه حاله؛ فإن الله يحتجب عنه، ويوم القيامة سيدرك أنه  
لومات قبل التمكين لكان أسلم له وأسعد، ولكن ليس هناك عودة  
إلى الدنيا، فقد مضى زمن العمل، وحن أو ان الحساب.

إن المريض قريب من الله غالب وقته، والصحيح متبطر يبارز  
الله المعاصي بصحته، والذي فقد ولده أو حبيبه يناجي الله كثيراً،  
ويلجأ إليه طويلاً، أما الذي تمتع بوجودهما ما شعر بنعمة الله فيهما،  
والذي وقع في أزمة، والذي غُيِّب في سجن، والذي طُرد من بيته،  
والذي ظُلم من جبار، والذي عاش في زمان الاستضعاف، كل  
هؤلاء قرييون من الله، فإذا وصلوا إلى مرادهم، وُرُفِعَ الظلم من على  
كواهلهم نسوا الله، إلا من رحم الله، وقليل ما هم..

هل معنى هذا أن نسعى إلى الضعف والفقر والمرض  
والموت؟ أبداً، إن هذا ليس هو المراد، إنما أمرنا بإعداد القوة، وطلب  
الغنى، والتداوي من المرض، والحفاظ على الحياة، ولكن المراد هو:  
أن نفهم مغزى الحياة، إنه العبادة ثم العبادة ثم العبادة. مغزى الحياة  
والتمكن في الأرض.

ومن هنا فإنه لا معنى للقنوط أو اليأس في زمان الاستضعاف، ولا معنى لفقد الأمل عند غياب التمكين، ولا معنى للحزن أو الكآبة عند الفقر أو المرض أو الألم، إننا في هذه الظروف - مع أن الله طلب منا أن نسعى إلى رفعها - نكون أقدر على العبادة، وأطوع لله، وأرجى له، وإننا في عكسها نكون أضعف في العبادة، وأبعد من الله، إننا لا نسعى إليها، ولكننا "نرضى" بها، إننا لا نطلبها، لكننا "نصبر" عليها .

إن الوقت الذي يمضي علينا حتى نحقق التمكين ليس وقتاً ضائعاً، بل على العكس، إنه الوقت الذي نفهم فيه مغزى الحياة، والزمن الذي "نعبد" الله فيه حقاً، فإذا ما وصلنا إلى ما نريد ضاع منا هذا المغزى، وصرنا نعبد الله بالطريقة التي "نريد"، لا بالطريقة التي "يريد"!!.. أو إن شئت فقل نعبد الله بأهوائنا، أو إن أردت الدقة أكثر فقل نعبد أهواءنا!!، قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (الفرقان ٤٣).

ولذلك كله فإن الله الحكيم الذي يريد منا تحقيق غاية الخلق، الرحيم الذي يريد لنا الفلاح والنجاح قد اختار لنا أن تطول فترة الإعداد والبلاء والشدة، وأن تقصر فترة التمكين والقوة، وليس لنا إلا أن نرضى، بل نسعد باختياره، فما فعل ذلك إلا لحبه لنا، وما أقر هذه السنّة إلا لرحمته بنا.

وتدبروا معي إخواني وأخواتي في حركة التاريخ، كم سنة عاش نوح - عليه السلام - يدعو إلى الله ويتعب ويصبر، وكم سنة عاش بعد الطوفان والتمكين؟!، أين قصة هود أو صالح أو شعيب أو لوط - عليهم السلام - بعد التمكين؟!، إننا لا نعرف من قصتهم إلا تكذيب الأقسام، ومعاناة المؤمنين، ثم نصر سريع خاطف، ونهاية تبدو مفاجئة لنا.

لماذا عاش رسولنا إحدى وعشرين سنة يُعدُّ للفتح والتمكين، ثم لم يعيش في تمكينه إلا عامين أو أكثر قليلاً؟!، وأين التمكين في حياة موسى أو عيسى عليهما السلام؟! وأين هو في حياة إبراهيم أبي الأنبياء؟!، إن هذه النماذج النبوية هي النماذج التي ستكرر في تاريخ الأرض، وهؤلاء هم أفضل من «عبد» الله، ﴿فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدَهُ﴾ (الأنعام ٩٠).

والآن بعد أن فقّهت المغزى؛ لعلك عرفت لماذا لم يعيش عمر بن عبد العزيز إلا سنتين ونصف فقط في تمكينه، وأدركت لماذا قُتل «عماد الدين زنكي» بعد أقل من عامين من فتح الرُّها، وكذلك لماذا قُتل «قطر» بعد أقل من سنة من نصره الخالد على التتار في عين جالوت، وكذلك لماذا قُتل «ألب أرسلان» بعد أقل من عامين من انتصار ملاذكرد التاريخي، ولماذا لم «يستمتع» صلاح الدين بثمره انتصاره في حطين إلا أقل من سنة؟!، ثم سقطت عكا مرة أخرى في

يد الصليبيين، ولماذا لم يرَ «عبد الله بن ياسين» مؤسس دولة المرابطين التمكين أصلاً، ولماذا مات خير رجال دولة الموحيدين أبو يعقوب يوسف المنصور بعد أقل من أربع سنوات من نصره الباهر في موقعة الأرك.

إن هذه مشاهدات لا حصر لها، كلها تشير إلى أن الله أراد لهؤلاء «العابدين» أن يختموا حياتهم وهم في أعلى صور العبادة، قبل أن تتلوث عبادتهم بالدنيا، وقبل أن يصابوا بأمراض التمكين، إنهم كانوا «يعبدون» الله حقاً في زمن الإعداد والشدة، «فكافأهم» ربُّنا بالرحيل عن الدنيا قبل الفتنة بزيتها.

ولا بد أن سائلاً سيسأل: أليس في التاريخ ملك صالح عاش طويلاً ولم يُفتن؟!، أقول لك: نعم، هناك من عاش هذه التجربة، ولكنهم قليلون أكاد أحصيهم لندرتهم! فلا نجد في معشر الأنبياء إلا داود وسليمان عليهما السلام، وأما يوسف -عليه السلام- فقصته دامية مؤلمة من أوّلها إلى قبيل آخرها، ولا نعلم عن تمكينه إلا قليل القليل. وأما الزعماء والملوك والقادة فلعلك لا تجد منهم إلا حفنة لا تتجاوز أصابع اليدين، كهارون الرشيد وعبد الرحمن الناصر وملكشاه وقله معهم.

إنني بعد أن فهمت هذا المغزى أدركت التفسير الحقيقي لكثير من المواقف المذهلة في التاريخ، أدركت لماذا كان عتبة بن غزوان

يُقَسِّم على عمر بن الخطاب أن يعفيه من ولاية البصرة!، وأدرت لماذا أنفق الصديق ماله كله في سبيل الله، وأدرت لماذا حمل عثمان بن عفان وحده همَّ تجهيز جيش العسرة دون أن يطلب من الآخرين حمل مسؤولياتهم، وأدرت لماذا تنازل خالد بن الوليد عن إمارة جيش منتصر، وأدرت لماذا لم يسعد أبو عبيدة بن الجراح بولايته على إقليم ضخم كالشام، وأدرت لماذا حزن طلحة بن عبيد الله عندما جاءه سبعمئة ألف درهم في ليلة، وأدرت لماذا تحول حزنه إلى فرح عندما «تخلَّص» من هذه الدنيا بتوزيعها على الفقراء في نفس الليلة!!.

أدرت ذلك كله، بل إنني أدرت لماذا صار جيل الصحابة خير الناس!، إن هذا لم يكن فقط لأنهم عاصروا الرسول ﷺ، بل لأنهم هم أفضل من فقه مغزى الحياة، أو قل: هم أفضل من «عبد» الله؛ ولذلك حرصوا بصدق على البعد عن الدنيا والمال والإمارة والسلطان، ولذلك لا ترى في حياتهم تعاسة عندما يمرضون، ولا كآبة عندما يُعذَّبون، ولا يأساً عندما يُضطهدون، ولا ندمًا عندما يفتقرون، إن هذه كلها «فُرص عبادة» يُسِّرَت لهم فاعتنموها، فصاروا بذلك خير الناس.

إن الذي فقه فقههم سعد سعادتهم ولو عاش في زمن الاستضعاف!، والذي غاب عنه المغزى الذي أدركوه خاب وتعس

ولو ملك الدنيا بكاملها. إنني أتوجه بهذا المقال إلى أولئك الذين يعتقدون أنهم من «البائسين» الذين حُرِّموا مالاً أو حُكماً أو أمناً أو صحة أو حيباً.

إنني أقول لهم: أبشروا، فقد هيا الله لكم «فرصة عبادة»!، فاغتنموها قبل أن يُرفع البلاء، وتأتي العافية، فتنسوا الله... وليس لك أن تنساه.

## الأناية القاتلة

تُعرف الأناية بأنها حُبّ الذات المُطلق والشديد حتّى ولو كان على حساب الآخرين، وبغضّ النّظر عن الأذى الذي يمكن أن يلحق بهم. هذا الحُبّ الفردي يخلق في الإنسان الأناي رغبة ذاتية وغيره جنونية للسيطرة على الآخر وامتلاك ما هو له بدون حقّ، حتّى يصل لدرجة حرمان الآخر، من كلّ شيء يمتلكه وانتزاعه منه حتّى لو لم يكن الأناي بحاجة لهذا الشيء.

والأناية هي حب الإنسان لنفسه وعشقه للسيطرة والتملك، وهي «الأنا» التي تجعل الإنسان لا يرى إلا نفسه ولا يهتم إلا بشخصه، وهي غريزة فطرية في كل إنسان إذا كانت في حدود معرفة مقدار الذات ووضعها في موضعها، أما إذا تجاوزت حدود الذات إلى الغرور والتكبر واحتقار الآخرين واستصغارهم وتسفيه آرائهم والسعي إلى السيطرة عليهم فهنا مكن الخطورة وأصل الداء.

الأناية لغة: عيب الإنسان الذي يبالغ في حب نفسه والإعجاب بها، وفي التمتع دون سواه بكل مفيد.

والأناي لغة: المبالغ في حب نفسه والإعجاب بها والمتمتع دون سواه بكل مفيد. وهذه قصة أم أنانية، ندمت على ما فعلت، لكنّه ندم متأخر، حيث تقول في رسالتها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إخواني وأخواتي في الله، سأروي لكم قصتي لعل الله يغفر لي ما  
أقترفت، وينقذ أناس لا يعون ماذا يفعلون بانفسهم وبابنائهم.

أنا سيدة ابلغ من العمر الواحد والستين عاماً، اتمتع بصحة  
جيدة، والحمد لله أنني لستُ مقعدة ولا كفيفة ولا مصابة بسرطان، إلا  
أنني أعاني من أمراض العصر كالسكر والضغط.

كان عندي ابنتان وولد، تزوجت ابنتي الصُغرى منذ سبعة  
أعوام، وابني منذ خمس عشرة سنة، بقيت معي ابنتي الكبرى؛ تقدم  
لها الكثيرون، إلا أن النصيب لم يحن، ومنذ أن تزوجت الصغرى وأنا  
أتكلم على ابنتي الكبرى اتكالاً تاماً في كل شيء، لا ارفع حتى كوب  
الماء، او قظها من نومها لأتفه الأسباب، ادّعي المرض الشديد لأجل  
أن تخدمني في كل شيء وكانت تحاول ارضائي بكل الوسائل، وكنت  
أنا اشعرها دوماً بأنها مقصرة مهما فعلت، نادراً ما اشكرها او ادعو لها،  
كانت تقوم بكل اعمال المنزل، وأنا لا اقوم من فراشي إلا لقضاء الحاجة  
أو الوضوء وأنا سليمة معافاة، كنت افتعل المشاكل معها واصرخ عليها  
باستمرار.

أصبحتُ اريدُ أن اتملكها، وتبقى خادمتي الأبدية، حتى وسوس  
لي شيطاني بأن احرمها من الزواج، فهي لي وحدي، وكل ما تملك هو  
لي، كانت تتقاضى راتباً من تقاعد زوجي رحمه الله، وكانت تصرفه عليّ  
وعلى طلباتي التي لا تنتهي، ما اشتهي شيئاً إلا ويكونُ عندي.

اللهم اغفر لي ما فعلت، المهم كلما يأتي عريس يطلبها أرفضه، وأضع فيه عيوب الدنيا، واعمل اموراً غير جيدة أمام العرسان وأهلهم؛ كي انفرهم، كأن ارفع صوتي أو أن اتكلم بشكل تافه، أو اتصرف بشكل لا يليق بسيدة في عمري، وعندما تعاتبني ابنتي ابدأ بالصراخ عليها، واعنفها واشتمها بألفاظ نابية، فما يكون منها إلا الصمت والبكاء، لم اهتم بمشاعرها، ولم افكر فيها وفي مستقبلها، ولا حتى ابسط حقوقها وهو الزواج، وأن يكون عندها طفل يبرها كما هي برتني، كنت أنانيةً لأبعد الحدود، حرّمت ما احل الله وامر به، المهم نفسي مع أنني كنتُ ضد من يمنع ابنته أو ابنه من الزواج، لكي يحتكره لنفسه، وكنت احتقرهم وأعجب منهم، لكن لا أعرف ماذا حصل لي، وكيف سيطر الشيطانُ عليّ وصور لي اموراً غريبة؛ كالعيش وحدي لا أحد معي، ومن سيخدمني، ونسيتُ أن الله معي وهو يرعاني، وأن من عنده ابنة مثل ابنتي لن يضيع؛ حتى لو تزوجت، الم اتزوج أنا واخواتي؟ الم تعش أمي لوحدها، وكنا نزورها باستمرار، وكانت سعيدة جداً بنا وبأطفالنا.

لم افكر بهذا كله ابدأً إلا بعد أن فقدتها، كانت ابنتي قد بدأت تشعر بأنني اقف في طريقها بلا رحمة كالوحش المفترس، كبرت ابنتي واصبح عمرها هذا العام اربعين سنة... وفي منتصف شهر رمضان تقدم عريس متواضع لخطبة ابنتي، جنّ جنوني، كيف ما زال

هناك خاطبون وهي هذه العمر، لم يُعجبني الأمر ابداً؛ بينما كان يبدو عليها ملامح الفرح والأمل، يجب عليّ قتل هذا الفرح والأمل، فهي عبدتي أنا، وكالعادة حاولتُ تطفيشهم.

وبدأت اضايق ابنتي وافتعل المشاكل معها، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان وكان وقت السحور، افتعلت معها مشكلة، بأنه لا يُعجبني هذا السحور، وأنها مقصرة معي، فقالت لي بالحرف: أنا اعرف يا أمي لم تفعلين هكذا معي، أنت لا تريدني أن اتزوج، أليس حرام عليك أن تفعلي بي هذا؟، هل قصرتُ معك؟ لماذا قضيتُ سنين عمري بجانبك وكبرت، وأنا ارعاك؟، اليس من حقي أن اتزوج؟، واخذت تبكي وأنا لم اهتم لها، ولم ارحم دموعها، وقلت لها: هه من الذي سيتزوج عجوزاً عانساً يا عانس؟!، احمدي ربك أنّك معي.

لا اعرف كيف نطقت هذه الكلمات، وفجأة رأيتُ ابنتي ترفع يديها للسماء وتدعو وتقول يا رحمن يا رحيم ارحمني مما أنا فيه، فأنا ما عدتُ اريد الزواج ولا اريد البقاء مع امي، فخذني ألى جوارك يارب، وبقيت تكرر كلمة يارب ألى أن اختنق صوتها، ووقعت على الارض وهي مزرقة، استنجدت بالجيران، نقلناها ألى أقرب مستشفى، ادخلوها غرفة العناية الحثيثة، قال الطبيب: جلطة حادة على الدماغ وهي في غيبوبة.

في اليوم التالي تجمع الأهل والاصحاب وابني وابنتي الصغرى حولها، اصابني انهيار، رغم هذا فقد بدأت اصحو من جهالاتي فبكيت، وقلت: ماذا فعلت بها وبأي حق؟!.... كنت حينها بجانبها اتلو القرآن الكريم واتوسل، فجأة فتحت عينها أمام الجميع ورأتني وقالت بصوت خافت: ظلمتني يا امي، والله الذي سيأخذ حقي، ألك يوم الحساب، ثم تشاهدت وشهقت ولفظت انفاسها الأخيرة وماتت...صُعق الأطباء من يقظتها، فهي ميتة دماغياً، لكنني عرفت بان الله يقظها لتقول لي ما قالت، فيا ويلى من ربي، فقد قتلت ابنتي مرتين؛ مرة حين ظلمتها ومرة حين تسببتُ بوفاتها.

صُعقت انا وانهارت قواي، ماذا فعلت بابنتي؟، ظلمتها وحرمتها من ابسط حقوقها، الزواج، وتسببت بموتها، والمصيبة الأكبر ما قالت، سوف يعاقبني الله، وأي عقاب!! يارب سامحني يارب اغفر لي.

بقيت وحدي، ماتت ورحلت للابد، يا ليتني تركتها تتزوج، لكنك أراها كل فترة، واحتضن اطفالها الذين كانت تحلم بهم، وما كانت ستقصر معي، فهي بنت تقية نقيه حنونة، لكنني لم احفظ هذه النعمة.

حرمتها من حياتها، فحرمني الله منها الى الابد ... الكل

احتقرني على فعلتي بها بعد أن اخبرتهم عن السبب، لماذا قالت هذا لحظة موتها ..... حتى ابنتي وابني.... حقهم لا الوهم، هذه جريمتي باختصار.

أنا لا انام الليل، وأنا أراها امامي في لحظاتها الاخيرة، ادعو لها وادعو أن يرحمني ربي، لم أكن أماً صالحة معها ابداً، قررت نشر قصتي ليتبه الآباء والأمهات، فلا يظلمون اولادهم، فالبر ليس مطلوباً من الابناء تجاه ابويهم فقط؛ بل أيضاً مطلوب من الأبوين تجاه ابنائهم، يا رب اغفر لي واجعل قصتي عبرة لغيري، ظلمتها وظلمت نفسي.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنِ أَبِيهِ مُعَاذٍ؛ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ: وَمَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا، أَوْ تَصْمُتَ. (أخرجه احمد).

## الصدق انجى

يُروى أنه لما تولى الحُكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل الحُكم في الأندلس، مآل إلى أهلِ الفسق، واقترفَ الكبائر والمنكرات.، فتحرَّك الفقهاء، وأرادوا الخروج عليه، فحصل ما حصل للفقهاء من قتلٍ وتعذيب، وشاء الله لبعضهم النجاة، فهرب منهم من هرب، وكان أحد العلماء «المطلوبين» لسيف السلطان الإمام الفقيه «طالوت بن عبد الجبار» تلميذ الإمام مالك.

والإمام «طالوت بن عبد الجبار» من أكابر الفقهاء، وقد هرب من بطش الحُكم، واستخفى عند جاري له يهوديٍّ مدَّة عامٍ كامل، واليهودي في كل يوم يقوم على خدمته، ويكرمه ايما إكرام، فلما مضى عام كامل، طال على الإمام «طالوت» الإختفاء.

استدعى اليهودي، وشكره على إحسانه إليه وقال له: قد عزمت غداً على الخروج؛ وسأذهب إلى الوزير «أبي البسام»، فقد قرأ على القرآن الكريم وعلمته العلم، ولي عليه حقُّ التعليم وحقُّ العشرة، وله جأة عند «الحُكم»، فعسى أن يشفع لي عنده، فيؤمّني ويتركني، فقال اليهودي: يا مولاي لا تفعل، إني أخاف عليك من بطش الحُكم بك، وجعل اليهوديَّ يخلف له بكلِّ يمينٍ، ويقول له: لو جلست عندي بقية عمرك ما مللت منك، فأبى «طالوت» إلاّ الخروج.

فخرج في الخفاء (بالليل)، حتى أتى دار الوزير، فاستأذن عليه، فأذن الوزير له، فلما دخل عليه رحّب به، وأدنى مجلسه وسأله: أين كنت كل هذه المدة؟، فقص عليه قصته مع اليهودي، ثم قال الإمام «طالوت» للوزير «أبى البسام»: اشفع لي عند «الحكم» حتى يؤمنني، فوعده الوزير بذلك، ثم خرج الوزير من فوره إلى الأمير «الحكم»، ووكل بـ «طالوت» من يحرسه.

فلما دخل الوزير «أبو البسام» على الأمير «الحكم» قال له: لقد جئتك بهديه، جئتك بطالوت رأس المنافقين، قد ظفرت به، فقال الحكم: قم فعجل لنا به، فلم يلبث أن أدخل الإمام «طالوت» على الأمير، وكان الأمير يتوقد ويشتعل غيظاً منه، فلما رآه جعل يقول: طالوت؟!؟!، الحمد لله الذي أظفرتني بك، ويحك؛ والله لأقتلنك شر قتله!!!، كيف استبحت حُرمتي؟؟.

فقال له الإمام «طالوت»: ما أجد لي في هذا الوقت مقبلاً إلا أن أقول لك: والله ما أبغضتك إلا لله وحده؛ حين وجدتك انحرفت عن الحق، وما فعلت معك إلا ما أمرني الله به، فسكن غيظاً (الحكم) ثم قال: يا طالوت.. والله لقد أحضرتك وما في الدنيا عذاب إلا وقد أعدته لك.

وقد حيل بيني وبينك، فأنا أخبرك أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، اذهب قد عفوت عنك، ثم سأله «الحكم» يا إمام:

كيف ظفر بك الوزير أبي البسام؟، فقال: أنا أظفرته بنفسي عن ثقة، فأنا لي فضلٌ عليه، فقد علمته القرآن والبيان، واستأذنته أن يشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت.

فقال له: فأين كنت قبل أن تذهب إليه؟، فأخبره «طالوت» بخبر اليهودي، فأطرق الأمير رأسه، ثم نادى على وزيره «أبي البسام» وقال له: يا لك من رجل سوء، قاتلك الله أيها المشؤوم، أكرمه يهودى من أعداء الملة، وسترَ عليه لمكانة العلم والدين، وخاطرَ بنفسه من أجله، وغدرت به أنت؛ يا صاحب الدين حين قصدك.

أيها المشؤوم ألا أديت له حق تعليمه لك؟؟، ألم تعلم أنه من خيار أهلٍ ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه من سوء الانتقام!!، أُخرج عني.. قبّحك الله.. لا أرانا الله في القيامة وجهك هذا؛ إن رأينا لك وجهاً!!، ولا أريد أن أراك بعد اليوم؛ أيها المشؤوم، ثم طرده من الوزارة وضيّق أرزاقه.

ثم مضت سنوات، فرأى الناس هذا الوزير المنافق الكاذب في فاقةٍ ودُلٍّ، فقيل له ما بك وما الذى أصابك؟؟، قال: استُجيت فيّ دعوة الفقيه «طالوت»، وكتب «الحكم» لليهودي كتاباً بالجزية في ما ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك أسلم.

وأما «طالوت» فلم يزل مبروراً عند الأمير إلى أن توفي، فحضر «الحكم» جنازته وأثنى عليه بصدقه وإخلاصه وعلمه، أورد

هذه القصة الذهبية في السَّير، والقاضي عياض في ترتيب المدارك،  
والمراكشي في المعجب.

النفاق والتزلف والغدر والخيانة وإنكار الجميل وعقوق  
اصحاب الفضل، عاقبتها وخيمة في الدنيا، فكيف بالآخرة؟.

## العالم في قلق

«يوماً بعد يوم يضيق الحال» انخم العالم بالكماليات، واغرورقت عيون اللهو بدمع اللذة المحرمة، سبر العالم اغوار الشهوات، وغاص الناس في محيطات الرذيلة، وغاروا في قبائح الأفعال وظواهر المتع السطحية الخادعة، وما شبعوا لا من حلال ولا من حرام.... فالخللُ قد عشعش في اعماق هؤلاء، ينادون شياطينهم بملء الفم هل من مزيد؟.

«كل المؤشرات تقول لا فائدة»

خلواتٌ جنسية، وعادات سرية، شذوذ اخلاقي عبر ما يُسمى «الجنس الثالث»، عهر وخنأ، سفاح وسحاق وأخذان، دردشات ينجل ابليس من قذارة ألفاظها المتبادلة، بين شباب باعوا انفسهم للشيطان، باحثين عن تخمة جنسية وإشباع محرم، من المحال ادراكه،... حيث لا فائدة.

«ويستمر القلق وتزيد الهموم والانتحارات»

ترف، رفاهية، عقارات، شواطئ عُراة، منتزهات، مشروبات روحية، هواتف ذكية، بلمسة زر تشاهد اشنع واقبح المظاهر الخليعة في أي بقعة من العالم، ارصدة مالية، فلل وعمارات، رحلات سياحية، حدائق ومسابع خاصة وعمامة، موضات أزياء على مدار الساعة، لها بداية وليس لها نهاية.

«ومع هذا تستمر الكتابة في الانتشار»

جنس الكترولني عبر الصوت والصورة المقززة، والمنظر المقرف الذي لا يتناسب مع الفطرة الإنسانية السليمة، يتبعها دردشات على الخاص بكلمات ينجل منها الشيطان، حيث لا سعادة ولا سكينه؛ فقد زادت الدنيا ظلاماً ووحشة نفسية، لأن كل ذاك ما هو إلا متعة مؤقتة زائلة بإنتهائها، ثم يتلوها حشرات وحشرات وآلام مضنية، لا يحس بها إلا هؤلاء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿ (طه ١٢٤-١٢٦).

«الضيق والوحشة في ازدياد»

أحدث الموديلات متوفرة، فالهواتف مروراً بالسيارات واليخوت البحرية والطائرات، غرف نوم، مطبخ، مأكولات، ومشروبات وكساء، كلا... دون جدوى لم يسعد الناس.....  
وحيثها:

«تعددت الأهواء والمبرر واحد»

فالجميع يبحث عن السعادة من وراء ذلك بالحلال تارة وبالحرمان تارات وتارات، .....؟! «ولكن»  
سلوهم هل تمتعوا؟، هل طعموا الراحة الحقيقية التي

ينشدون؟، هل ضمائرهم مطمئنة لهذا العبث؟..... كلا والله، فالجميع يلهث في سباق محموم، فإذا وصل نهاية الشوط الأول وجده سرايا، لبدء شوطاً مماثلاً من جديد مع شيطان آخر..... وهكذا.

«وقسماً لن يشبع في الدنيا أحد»

فمن كان يطمح لنظرة من المحبوب، صار يبحث عن كلمة، فقبله، ثم احتضان وفراش و....، فإن كان بالحرام؛ فيا ضنك العيش من لوعة الشوق واللهفة بحثاً عن جديد آخر، وقبائح أشنع، حتى يصير سلعة رخيصة في سوق النخاسة الشيطانية الدنيئة، بعد أن كان في ذرى المعالي من الطهر والنقاء الأخلاقي.

«حتى المباحات وربى لن يشبع منها»

فإن كان ما ناله حلالاً، فسرعان ما يتبادر في ذهنه حزن آخر، ولون ثان، وطموح ثالث، فيمل الحلال ليصبح الحرام أحلى، والرذيلة لها طعم ألد وأشهى..... فرغم الإدعاء ظاهراً بالشيء بالذي صار بين يديه حلالاً..... لكن دون جدوى سيُزين له الشيطان ويغريه، حتى يُصبح الحرام في نظره أحلى، والرذيلة امتع وأشهى.

«وتتوالى الأمنيات»

فقد بدأ الطموح بيت وأولاد، وراتب ورصيد بنكي، وسيارة،

ثم بقالة، ثم منصب او وزارة، مع الطابق الثاني والجوال الأحدث يملو العيش، وماذالو كان له مال فلان، أو محلات فلان التجارية، ما أحلى الحياة لو امتلك الارض، واشترى ذاك العقار، ثم، ثم، وا... وا... الخ... وصدق الشاعر عباس محمود العقاد حين قال:

صغيرٌ يطلبُ الكِبراً	وشيوخٌ ودّ لو صَغُرَا
وخالٍ يشتهي عملاً	وذو عملٍ به صَجِرَا
وربُّ المالِ في تعبٍ	وفي تعبٍ من افتقرا
وذو الأولادِ مهمومٌ	وطالبهم قد انفطرا
ومن فقد الجمالِ شكا	وقد يشكو الذي بهرا
ويشقى المرءُ منهزماً	ولا يرتاحُ منتصراً
ويبغي المجد في لهفٍ	فإن يظفر به فترا
شُكَاةٌ ما لها حَكَمٌ	سوى الخصمين إن حضرا
فهل حاروا مع الأقدار	أم هم حيروا القدار؟

وهذه حقيقة الدنيا لمن لا يعرفها.. وما ذاك بقولي « بل قول

المصطفى ﷺ

فقد جمع كل تلك السطور في كلماتٍ جوامعٍ قائلاً: «لو أن لابن آدم وادياً من مال لتمنى واديين، ولو أن له واديين لتمنى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» (رواه أحمد).

«وهنا الحل»

إن سلسلة مطالب النفس البشرية لنيل سعادتها في الدنيا لا تنتهي، ولو حاز كل وديان الذهب... والحل الوحيد لسعادة الإنسان أن يكون هدفه مشابهاً لتركيب نفسيته ذات الرغبات والطموحات التي لا تنتهي، وبما أن الكون المادي من حولنا فإن إلى نهاية... فالحل أن نعلق مطالبنا ورغباتنا بعالم الجبار العظيم الذي لا نهاية لوجوده ولا نهاية لعلمه وقدرته، وهو الأعرف بأنفسنا وحاجاتها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤).

وكل أسمائه تعالى وصفاته... كلها لا نهائية فلا حدود لحكمته ولا نهاية لفضله وعطائه وجزائه الأخروي، حيث عالم الآخرة السرمدى الأزلي..... عالم الخلود في الجنة.

«وأخيراً وليس أخراً»

عالمه سماؤه ملبدٌ بغيوم الفاحشة والرذيلة، قاداته شياطين مزيج من مرده الأُنس والجن؛ يتفننون بإغواء البشرية، فمن دعم وتشجيع ونشر للشذوذ الجنسي إلى عبادة الشيطان، إلى المتاجرة

بالمرأة، الى الكذب والغش والظلم والخداع، الى كل ما يُعانَد الفطرة  
السليمة، وفيه بقية من الصالحين، والأقل منهم المصلحون، فلا  
تتأوه نادماً، ولا تسب الظلام، ولا تُغالط نفسك باستحسان اللفظ  
ونسيان العمل، بادر ولا تنتظر، فأمامك الخير والشر، ولك أنت  
الخيار، وفي جوارك مسجد يشتاق ربنا لرؤيتك فيه، ليُباهي بك  
ملائكته، بل يفرح بتوبتك، فالحلال ما احله الله والحرام ما حرمه،  
وأنت تعرفهما، فبادر وانطلق عملياً إلى عالمك اللانهائي، الى عالم عالم  
الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، فقد عرفت الداء والدواء، وعلى  
بركة الله..

## في بيتنا قبلة موقوتة

كثبت احدى الأمهات التربويات، المسكونة بهمّ الجليل ومشاكله المستجدة، تغريدات عاجلة ومهمة، متمنية أن تؤخذ تغريداتها بجدية، تنتهي الى شيء من الحماية والوقاية للأبناء، لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

١- هناك خطر يُعشعش في منازلنا .. يزداد يوماً بعد يوم، دون أن يلاحظه بعضنا، وسأكون مسؤولة أمام ربي عن كل تغريدة أكتبها لكم بهذا الخصوص.

٢- تحت شاشات جوالات مراهقيكم تقع قنابل موقوتة، تُهددهم ليلاً بنسف أخلاقهم ومروءاتهم، وتحويلهم لأدوات جنسية لا تقيم وزناً للحلال أو الحرام.

٣- هناك مجموعات «قروبات» جنسية مجهولة الهوية، بدأت تنتشر في الدول الإسلامية عامة والخليجية خاصة، تنتشر من خلال الجوالات، تبحث عن صغار السن من (١٠-١٦) عاماً .. تبدأ في إرسال رسائل حب مزعوم، واحتواء لهم في بداية الأمر.

٤- وبعد السيطرة عليهم، تبدأ هذه المجموعات بتوزيع رسائل وصور جنسية بشكل مكثف، إلى أن يتقبلها الطرف الآخر، ويدمن على مشاهدتها ليلاً .. ثم يبدأ إرسال هذه المقاطع الجنسية التي تستثير كل الغرائز الهاجعة في نفس المتلقي.

٥- بعد ذلك يبدأون بطلب إرسال صور شخصية لهؤلاء الصغار، وشيئاً فشيئاً يستجيبون لهم، ثم يطلبون منهم إرسال صورهم بأوضاع جنسية مختلفة، وحين تصلهم يبدأون بابتزازه، إما أن يوافقوا على ممارسة الفاحشة معهم، أو يهددونهم بالفضيحة ونشر صورهم.

٦- وكثير من الصغار، لجهلهم وخوفهم، يوافقون على الاستمرار بإرسال صورهم الجنسية لهذه المجموعات «القروبات»، فتنتشر انتشار النار في الهشيم.

٧- أما البقية، فيوافقون على الخروج معهم لأنهم يظنون أن عملية الابتزاز ستنتهي عند هذا الحد!!، ولا يعلمون أنه سيتم تصويرهم بشكل مباشر هذه المرة.

٨- أبناءنا بهذه الفئة العمرية بخطر شديد يتهددهم، وخاصة ممن يحملون جوانات بشتى الأنواع معهم،... فيا أيها الآباء والأمهات، خذوا حذرکم قبل أن تتفاجأوا بصور أبنائکم وبناتکم المراهقين في أوضاع جنسية مخلة على هذه المواقع، فعليکم تدارک الأمر قبل أن تنفجر القنبلة وتدمر الأسرة، وعندها لات مندم.

٩- عليكم بالتربية الإلهية أولاً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحریم ٦). عليكم أن تأخذوا من النظريات التربوية الحديثة ما يوافق شرع الله، وإضربوا بعرض الحائط كل ما يخالف الفطرة السليمة والشرع القويم.

١٠- إن اضطركم الأمر لتفتيش جوالات أبنائكم وبناتكم، فافعلوا ذلك ( فعند الضرورات تُباح المحرمات )، وهذا كله من واقع شاهدناه في بلاد عربية مختلفة، فالصغار لا يملكون الخبرة ولا يقدرّون العواقب ولا يملكون الوازع الكافي ليمنع من ذلك خاصة تحت ضغط المغريات.

١١- إذا شاهدت شروداً وضيقاً وعدم تركيز، وحباً مفاجئاً للعزلة، وخوفاً زائداً على الجوال، فاتبه على ابنك أو ابنتك بهذا العمر..!، فربما يكون قد وقع ضحية لهذه المجموعات «القروبات» الجنسية، التي بدأت تعمل بتنظيم وتكتيك عجيب، وهذا ما يفسر ارتفاع جرائم الابتزاز الجنسي.

١٢- أدركوا أبناءكم قبل أن يكونوا مجرد أداة بأيدي من لا يخافون الله.

١٣- إذا فتشت الجوال بدون علم صاحبه من الأبناء ثم وجدت ما يسوءك، فاحتفظ بهدوء أعصابك، فلا الضرب ولا العويل سيفيد، ولكن الحكمة وهدوء الأعصاب هي ما ستجعلك تتصرف بعقلانية، افتح حواراً صريحاً مع ابنك أو ابنتك، واسأله عن كل التفاصيل، وكيفية بدء المشكلة.

١٤- لا تنس أن تحتويه، وتخبره أنه مهما حدث فإنك ستكون بجانبه، وإنك تكره أفعاله لا هو بذاته، وبعدها ابدأ ببحث الأمر مع

الجهات الرسمية بشيء من السرية المطلقة، للإمساك بالمبتز، وإفشال مخططه، ومنع نشر صور ابنك أو بنتك.

١٥- وبعد انتهاء المشكلة، امنع ابنك من وجود الجوال ليلاً بجانبه؛ حتى يتخلص من الإيحاءات السابقة، مع تغيير غرفته إن أمكن.

١٦- من يقول أن التربية الصحيحة والثقة التامة المفرطة هي الأساس في التربية، ويظن أن من لم يحظ بالتربية الصحيحة هو من يقع بالخطأ فقط، فأقول لهم: (قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن)، فلربما يتعب المرء في تربية أولاده ومع هذا يخذلونه .. وربما لم يرب أحدهم أبناءه فيبهجونه ..

١٧- أصبحت هذه الصور والمقاطع الاباحية تصل لأبنائنا عن طريق أصدقائهم المقربين في المدارس وغيرها، حيث تلاحظ تجمعاتهم المتوترة في زوايا الشوارع، وعند زيارات الأهل تلاحظ بعض الانزواءات من بعض المراهقين وجوالاتهم في ايديهم.

١٨- كتبت لكم تغريداتي من قلب صادق محب، ومن واقع يدق ناقوس الخطر، والناس في غفلة... أبنائنا أمانة بأعناقنا، أسأل الله أن لا نصّيع أمانته بسبب جوال وثقة مفرطة!!

اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد .. اللهم إنها قد خرجت من ذمتي إلى ذمة كل أب وأم وتربوي وولي أمر.

## قصر الإسكافي في الجنة

يُروى أنّ الشيخ «محمد الحامد» رحمه الله تعالى، وهو من علماء وفقهاء مدينة حماة، العاملين لله عز وجل، خرج يوماً في جمع من حجاج بيت الله الحرام، يقول: بعد إتمام مناسك الحج في مكة المكرمة، خرجنا إلى المدينة المنورة، وصلنا قبيل أذان العشاء، دخلنا المسجد النبوي، وبعد صلاة العشاء، والصلاة في الروضة الشريفة، ثمّ الوقوف أمام مقام رسول الله ﷺ والسلام عليه والدعاء، ذهبنا إلى مكان نزلنا لنتراح ونستعد لصلاة الفجر.

أخذني النوم، واستيقظت قبيل الفجر على رؤيا في منامي هزت كياني، فأخذت أكثر من الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، في منامي هذا، رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي: «يا شيخ محمد حين تصل مدينتك حماة بالسلامة إن شاء الله تعالى، فأت أولاً بيت فلان الإسكافي» وذكر اسمه» وقل له: إن رسول الله يُبشرك أنّ الله تعالى قد قبل حجك وحج زوجتك، وقد بنى لكما قصرًا في الجنة بجواري».

ويقول الشيخ محمد: فجلست أفكر في الرجل الذي ذكر لي اسمه رسول الله ﷺ، وتذكرت أنه كان يُريد الحج وزوجته، ولكنه تخلف لأمر ما، وراجعت أسماء الحجاج في قافلة مدينة حماة فلم أجد اسمه، وقضيت يومي وأنا أكثر من الصلاة على النبي ﷺ.

ونمت ليلتي، ورأيت نفس الرؤيا «المنام» وسمعت من

رسول الله ﷺ عليه نفس الكلام، واستيقظت فرحاً برؤية رسول الله ﷺ، ولكنني أفكر بالرجل، وكيف قبل الله تعالى حجه، وما رآه أحد من الحمويين في أداء المناسك !!!، ما الأمر؟، فأعود إلى نفسي فاقول: الله أعلم.

وفي الليلة الثالثة رأيتُ نفس المنام، وسمعت ذات الكلام من رسول الله ﷺ، ثلاث ليالٍ متتاليات والرؤيا واحدة، والوصية من رسول الله ﷺ ذاتها، فكان مني الرغبة في الوصول بأسرع ما يمكنني إلى حماة، لأداء أمر رسول الله ﷺ وتوصيل البشرى منه إلى الرجل وزوجته، وهذا ما كان.

فتم إخبار عناصر القافلة بيوم السفر إلى دمشق وأخبر الجميع أهلهم، وخرج أهل حماة في اليوم المحدد للملاقة واستقبال حجاجهم، كما خرج أهلي وإخواني وطلابي، ولكنني تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، وحتى يكون أول ما أفعله حين وصولي إلى حماة أن ألتقي بمن أمرني بلقائه، وهو الرجل الذي ذكر لي اسمه في المنام، وأبشره بما قال لي رسول الله ﷺ.

لذلك؛ انفردت عن القافلة واستأجرت سيارة خاصة إلى حماة، وصلت إلى ضواحي المدينة، وكان الناس بانتظار الحجاج، ورأيت أهلي وإخواني وطلابي بينهم، بانتظار وصولي، ولكنني كنت متخفياً، والوقت قريب من الفجر، ولم تتوقف السيارة، فلم يلحظني أحد.

وأُتيت بيت الرجل الذي أمرني رسول الله ﷺ بلقائه، وهو من أعرفه، وأعرف بيته، فقرعت الباب، ونوديت من داخل البيت: مَنْ؟، قلت: الشيخ محمد الحامد، فسمعت من يقول: الشيخ محمد الحامد!! أفي هذا الوقت؟؟؟ والناس بانتظاره على مدخل البلد، سبحان الله! «قالها متعجباً» وفتُح الباب، ورحب بي الرجل، وأدخلني البيت، وهو يتعجب، ولا يُصدق نفسه مما يرى.

فلما جلست وهو أمامي قلت له: إن لك معي بشارة من رسول الله ﷺ ولكنني لن أذكرها حتى تقول لي ما منعك من الحج هذ العام؟؟؟، وقد كنت قد أعددت ما يلزمك، وهيات نفسك، وسجلت أسمك وأسم زوجتك؟.

فأطرق رأسه ينظر في الأرض، ثم رفعه ونظر إليّ وهو يتأوّه وقال: يا شيخ محمد حفظك الله، لقد كنت أجمع على مدى سنوات الليرة فوق الليرة، حتى اكتمل لي ما يكفي لأداء الحج أنا وزوجتي، لكن ما منعني يا شيخ محمد، أن امرأتي وقبل إتمام ما يجب علينا من إجراءات بأيام، فتحت باب الدار بعد أذان الفجر لترمي الأقدار في المكان المخصص لها، فرأت امرأة ملتحفة بغطاء أسود على موضع الأقدار «الزبلّة» تجمع قشور البطيخ الأحمر، ثم وضعته تحت ملحفتها وأسرعت بالسير، فتتبعها زوجتي من شق الباب فإذا هي تدخل البيت الملاصق لبيتنا.

يا شيخنا ومعلمنا الحامد: لقد ذكرت لي زوجتي فقالت: تعجبت من تصرف جارتني وبدافع فضول النساء، صعدت سطح الدار لأنظر ماذا تفعل بقشر البطيخ؟، فقد ظننت أن عندها غنمة أو معزة، وأسطح بيوتنا يا شيخ محمد كما تعلم تكشف ساحات بيوت الجوار، فقالت لي زوجتي: وكان أن رأيت جارتني والتي توفي زوجها منذ أكثر من سنة قد أخذت تقطع قشور البطيخ قطعاً صغيرة، ثم جاءت بخبز يابس، ففتته على القشور المقطعة وخلطتهم بقليل من الماء، وأنا انظر إليها وأكاد أجهش بالبكاء، تمالكت نفسي، فرأيتها قد أيقظت صغارها وأكبرهم في حوالى الثامنة من عمره، وأخذت تطعمهم مما صنعته، وتأكل معهم كأنها تُغريهم ليأكلوا.

وقال الرجل يخاطب الشيخ محمد الحامد: يا شيخني الفاضل، كعادتي كنت قد خرجت مبكراً لصلاة الصبح، ولما عدتُ وجدت امرأتني تبكي، ولها أنين... ظننتها قد وقعت وهي تتوضأ فكُسر وُركها، سألتها: ماذا أصابك؟ فازدادت في البكاء، فلما ألححت عليها ذكرت ما رأيت من أحوال جيراننا، فبكيت مثلها وأكثر.

ويقول الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى، وقد رأيت الرجل وهو ينهي قصته والدموع تجري على خديه، فبكيت مثله، وفي قلبي ما هو أهم، كم نحن مقصرون بحق إخواننا.

لكن الرجل قطع تفكيري وتابع يقول: يا شيخ محمد، فاتفقت

أنا وزوجتي أن نعطي المبلغ الذي جمعناه لحجنا إلى جيراننا، وكنت أدعو الله أن يتقبل منا، و كان المبلغ في كيس صغير، فأخذته وحين خروجي لصلاة الصبح، وقد قصدت التبكير أكثر من عادتي، قرعت باب جيراننا هؤلاء، وسمعت صوت باب يُفتح في الداخل، فرميت بالكيس من فوق باب بيتهم وأسرت بالابتعاد.

تلك هي القصة يا شيخ محمد، والله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأقول لك أننا من اليوم الذي ذكرته وحتى اليوم أتقاسم مع جירاني ما يرزقني الله، وبدون أن يشعروا، تقوم بإيصاله زوجتي بأساليب متعددة، أسأل الله أن يتقبل منا، وهذا دعائي الدائم.

ويقول الشيخ محمد الحامد: فبشرته بما قال لي رسول الله ﷺ أن الله قد قبل حجك وحج زوجتك، وبنى لكما قصرًا في الجنة بجواره ﷺ فسجد لله تعالى شاكرًا، وصلى على رسول الله ﷺ.

## معروف الرصافي والأرملة المرضعة

معروف الرصافي، أكاديمي وشاعر عراقي اسمه الكامل معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري، ولد في بغداد عام (١٨٧٥) ونشأ فيها، من أب كردي النسب وأم تركمانية، وأكمل دراسته في الكتاتيب، وانتقل للدراسة في المدارس الدينية في بغداد، ودرس على يد مجموعة من شيوخها المرموقين، ثم اتّصل بالشيخ العلامة محمود شكري الألوسيّ وقد رافقه اثنتي عشرة سنة، وهو من أطلق عليه معروف الرصافيّ ليكون مقابلاً لمعروف الكرخيّ في الصلاح، والشهرة، والسمعة الحسنة، ومات عن عمر ناهز السبعين عاماً، عمل خلالها معلماً في مدرسة الراشدية شمال الأعظمية، ثم عُيّن مدرّساً للأدب العربيّ في الإعداديّة في بغداد، ثمّ في العديد من المدارس والجامعات، وله العديد من الدواوين الشعرية.

وقد سماه العلامة الألوسيّ بالرصافي نسبة الى سكنه واقامته في الرصافة؛ أحد قسمي مدينة بغداد على الجانب الشرقي لنهر دجلة، حيث الشوارع الحيوية مثل الأعظمية وزيونة ومدينة الصدر وفلسطين وأبي نوّاس وشارع السعدون، ثم تمييزاً له عن معروف الكرخي، حيث أن الكرخ هو أحد قسمي مدينة بغداد ويقع على الجانب الغربي لنهر دجلة، ويوجد فيه العديد من المناطق الحيوية للعاصمة العراقية، ومنها الكاظمية والصالحية وشارع حيفا

والعامرية والشعلة.

كان الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي جالساً في دكان صديقه محمد علي الكائن أمام جامع الحيدر ببغداد، وبينما كان الرصافي يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه، وإذا بامرأة محجبة، يوحى منظرها العام بأنها فقيرة، وكانت تحمل صحناً (من الجينكو) وطلبت بالإشارة من صاحبه أن يُعطيها بضعة قروش كثمن لهذا الصحن، لكنّ صاحب الدكان خرج إليها وحدثها همساً، فانصرفت المرأة الفقيرة.

هذا الحدث جعل الرصافي يرسم علامات استفهام كبيرة، وقد حيّره تصرف السيدة الفقيرة، وتصرف صاحبه (صاحب الدكان) معها همساً، فاستفسر من صديقه عنها فقال له: إنها أرملة تُعيل يتيمين، وهم الآن جياع، وتُريدُ أن تُرهن الصحن بأربعة قروش؛ كي تشتري لهما خبزاً.

فما كان من الرصافي إلا أن لحق بها، ويُعطيها اثني عشر قرشاً، كان كل ما يملكه الرصافي في جيبه، فأخذت السيدة الأرملة القروش وهي في حالة تردد وحياء، وسلمت الصحن للرصافي وهي تقول: «الله يرضى عليك تفضل وخذ الصحن». فرفض الرصافي أخذه، وغادرها عائداً إلى دكان صديقه، وقلبه يعتصر من الألم، ثم عاد الرصافي إلى بيته ولم يستطع النوم ليلتها، وراح يكتب

هذه القصيدة، والدموع تنهمر من عينيه، كما أوضح هو بقلمه وهذا يعني: أن (قصيدة الأرملة المرضعة) كُتبت بدموع عيني الرصافي، فجاء التعبير عن المأساة، تجسيداً صادقاً لدقة ورقة التعبير عن مشكلة اجتماعية، استأثرت باهتمام المعلمين في المدارس الابتدائية فيما بعد، واعتبروها أنموذجاً، جسّد معاناة الرصافي حيث استأثر بموضوع الفقر والفقراء.

تعتبر هذه القصيدة من روائع الشعر العربي في عصر النهضة، حيث تقول:

لَقَيْتَهَا لَيْتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا	تَمَشِي وَقدْ أَثْقَلَ الإِمْلَاقُ مُمَشَاهَا
أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ	وَالدَّمْعُ تَدْرِفُهُ فِي الحَدِّ عَيْنَاهَا
بَكَتْ مِنَ الفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا	وَاصْفَرَّ كَالوَرْسِ مِنْ جُوعٍ مُحْيَاهَا
مَاتَ الَّذِي كَانَ يُحْمِيهَا وَيُسَعِدُهَا	فَالدَّهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالفَقْرِ أَشْقَاهَا
المَوْتُ أَفْجَعَهَا وَالفَقْرُ أَوْجَعَهَا	وَالهَمُّ أَنْحَلَهَا وَالعَمُّ أَضْنَاهَا
فَمَنْظَرُ الحَزَنِ مَشْهُودٌ بِمَنْظَرِهَا	وَالبُؤْسُ مَرَاهٌ مَقْرُونٌ بِمَرَاهَا
كَرُّ الجَدِيدِينَ قَدْ أَبْلَى عِبَاءَتَهَا	أَنْشَقَّ أَسْفَلُهَا وَأَنْشَقَّ أَعْلَاهَا
وَمَرَّقَ الدَّهْرُ، وَيَلِ الدَّهْرُ، مِثْرَهَا	تَيَّ بَدَا مِنْ شُقُوقِ الثَّوبِ جَنْبَاهَا

تَمَشِي بِأَطْمَارِهَا وَالْبَرْدُ يَلْسَعُهَا  
حَتَّى غَدَا جِسْمُهَا بِالْبَرْدِ مُرْتَحِفًا  
تَمَشِي وَتَحْمِلُ بِالْيُسْرَى وَلِيدَتَهَا  
قَدْ قَمَطَتْهَا بِأَهْدَامٍ مُمَزَّقَةٍ  
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُهَا  
نَقُولُ يَا رَبِّ، لَا تَتْرُكْ بِلَا لَبَنِ  
مَا تَصْنَعُ الْأُمُّ فِي تَرْبِيبِ طِفْلَتِهَا  
يَا رَبِّ مَا حِيلَتِي فِيهَا وَقَدْ ذَبَلَتْ  
مَا بَالُهَا وَهِيَ طُولَ اللَّيْلِ بَاكِيَةٌ  
يَكَادُ يَنْقُدُّ قَلْبِي حِينَ أَنْظُرُهَا  
وَيَلْمُهَا طِفْلَةً بَاتَتْ مُرَوَّعَةً  
تَبْكِي لِتَشْكُو مِنْ دَاءِ أَلَمِ بِهَا  
قَدْ فَاتَهَا النُّطْقُ كَالْعَجَمَاءِ، أَرْحَمُهَا  
وَيَحُ ابْنَتِي إِنَّ رَبَّ الدَّهْرِ رَوَّعَهَا  
كَانَتْ مُصِيبَتُهَا بِالْفَقْرِ وَاحِدَةً

كَأَنَّهُ عَقْرَبٌ شَالَتْ زُبَانَهَا  
كَالْغُصْنِ فِي الرِّيحِ وَأَصْطَكَّتْ ثَنَائَهَا  
حَمَلًا عَلَى الصَّدْرِ مَدْعُو مَا يُؤْمِنُهَا  
فِي الْعَيْنِ مُشْرِهَا سَمَجٌ وَمَطْوَاهَا  
تَشْكُو إِلَى رَبِّهَا أَوْصَابَ دُنْيَاهَا  
هَذِي الرِّضِيعَةَ وَارْحَمْنِي وَإِيَاهَا  
إِنْ مَسَّهَا الضَّرُّ حَتَّى جَفَّ ثَدْيَاهَا  
كَزَهْرَةِ الرُّوضِ فَقَدْ الْغَيْثُ أَظْهَاهَا  
وَالْأُمُّ سَاهِرَةٌ تَبْكِي لِمَبْكَأَهَا  
تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاهَا  
وَبِتُّ مِنْ حَوْلِهَا فِي اللَّيْلِ أَرْعَاهَا  
وَلَسْتُ أَفْهَمُ مِنْهَا كُنْهَ شَكْوَاهَا  
وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيَّ السُّقْمِ آذَاهَا  
بِالْفَقْرِ وَالْيَتَمِ، آهًا مِنْهَا آهًا  
مَوْتُتٌ وَالِدِهَا بِالْيَتَمِ ثَنَائَهَا

هَذَا الَّذِي فِي طَرِيقِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ  
حَتَّى دَنَوْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ مَا شِيئَةٌ  
وَقُلْتُ: يَا أُخْتُ مَهْلًا إِنَّنِي رَجُلٌ  
سَمِعْتُ يَا أُخْتُ شَكْوَى تَهْمِسِينَ بِهَا  
هَلْ تَسْمَعُ الْأُخْتُ لِي أَنِّي أَشَاطِرُهَا  
ثُمَّ اجْتَدَبْتُ لَهَا مِنْ جَيْبِ مِلْحَفَتِي  
وَقُلْتُ يَا أُخْتُ أَرْجُو مِنْكَ تَكْرِمَتِي  
فَأَرْسَلْتُ نَظْرَةً رَعِشَاءَ رَاحِفَةً  
وَأَخْرَجْتُ زَفْرَاتٍ مِنْ جَوَانِحِهَا  
وَأَجْهَشْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ  
لَوْ عَمَّ فِي النَّاسِ حَسٌّ مِثْلُ حِسِّكَ لِي  
أَوْ كَانَ فِي النَّاسِ إِنْصَافٌ وَمَرْحَمَةٌ  
هَذِي حِكَايَةُ حَالٍ جِئْتُ أَدْكُرُهَا  
أَوَّلَى الْأَنْامِ بَعَطْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةٌ

مِنْهَا فَآثَرٌ فِي نَفْسِي وَأَشْجَاهَا  
وَأَدْمَعِي أَوْسَعَتْ فِي الْخَدِّ مَجْرَاهَا  
أُشَارِكُ النَّاسَ طُرًّا فِي بَلَايَاهَا  
فِي قَالَةٍ أَوْ جَعَتْ قَلْبِي بِفَحْوَاهَا  
مَا فِي يَدِي الْآنَ أَسْتَرْضِي بِهِ اللَّهُ  
دَرَاهِمًا كُنْتُ أَسْتَبْقِي بِقَايَاهَا  
بِأَخْذِهَا دُونَ مَا مِنْ تَغَشَّاهَا  
تَرْمِي السَّهَامَ وَقَلْبِي مِنْ رَمَايَاهَا  
كَالِنَّارِ تَضَعُدُ مِنْ أَعْمَاقِ أَحْشَاهَا  
وَأَهَا لِمِثْلِكَ مِنْ ذِي رِقَّةٍ وَاهَا  
مَا تَاهَ فِي فَلَوَاتِ الْفَقِيرِ مَنْ تَاهَا  
مَ تَشْكُ أَرْمَلَةٌ ضَنْكًَا بِدُنْيَاهَا  
وَلَيْسَ يُخْفَى عَلَى الْأَحْرَارِ فَحْوَاهَا  
وَأَشْرَفُ النَّاسِ مِنَ الْمَالِ وَاسَاهَا

## ثمانون نصيحة

للنصيحة أهمية كبرى في حياة الأفراد والجماعات، فالإنسان ضعيف لو حده، يعتريه النقص والخلل كل وقت، لذا يحتاج إلى النصيحة، ويحتاج لمن يُخلص له القول؛ محبةً له وبحباً عما يعود عليه بالخير، وقد اهتمت الشريعة الغراء بالنصيحة، فقد كانت خلاصة دعوة الأنبياء في النصيحة، وهي سبب من أسباب نجاة المجتمع، والحفاظ على تماسكه من المنكرات ورذائل الأخلاق.

وتعريف النصيحة في اللغة: قول فيه دعاء إلى صلاح ونهي عن فساد، والجمع: نصائح، أما التعريف الاصطلاحي: كل كلمة أو فعل مصاحبة بإرادة صلاح المنصوح وإرادة الخير له، والأصل في النصيحة الوجوب لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة ٢)، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (رواه مسلم). وقد أجمع المسلمون على أن النصيحة من الدين، فهي مشروعة وينبغي إظهارها بين الناس. كتاب «ارشادات الحياة القصيرة» أصبح أحد أكثر الكتب شهرة في العالم، ألفه «جاكسون براون» على شكل نصائح ليقدمها لابنه عند دخوله الجامعة، وعندما وجد أنه كتب (١٥٦٠) نصيحة، قرر أن يُصدرها في كتاب؛ فكانت المفاجأة، حيث حقق

أفضل المبيعات لعدة سنوات بقائمة نيويورك تايمز.  
وعندما وجد براون أن كتابه قد نال تلك الشهرة الكبيرة،  
تبعه ببعض الأعمال الأخرى وحيث تم ترجمتها لأكثر من (٣٥)  
لغة، وبيعت منها ملايين النسخ حول العالم، وأصبح الكاتب  
يتلقى العديد من الرسائل من القراء حول العالم، ليخبروه عن  
مدى تأثير كتبه في حياتهم.

وقد علّق «جاكسون» على كتبه قائلاً: معظمنا يعرف ما  
نحن بحاجة للقيام به، لجعل حياتنا أكثر جمالاً و فائدة، ولكننا  
في بعض الأحيان ننسى، لذلك كُتبي البسيطة هي مجرد تذكير  
بتلك الأشياء التي إذا فعلناها بشكل جيد وبروح مليئة بالحب،  
ستمكن من تغيير حياتنا بشكل كبير للأفضل.

تمكن جاكسون براون من خلال بعض الكلمات البسيطة  
الحكيمة التي جمّعها من الآخرين ومن تجاربه الخاصة، أن يؤلف  
هذا الكتاب، حيث جمع فيه النصائح الهامة التي أراد توجيهها  
لابنه في مرحلة عمرية حرجة، فكان من أهمها (مع شيءٍ من  
التصرف):

- ١- مصافحة الآخرين بثبات وقوة واهتمام يُظهر الاحترام.
- ٢- الإكثار من قول كلمة شكراً، (ولكن جزاك الله خيراً  
افضل).

٣- التحلي بالتسامح أثناء التعامل مع الآخرين، (قال رسول الله ﷺ: رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) (رواه البخاري).

٤- النظر في عيون الأشخاص عند مخاطبتهم أو مصافحتهم.

٥- اذكر ثلاثة أشخاص يومياً على الأقل بخير امام الآخرين.

٦- تعلم أصول مهنتك، بدلاً من تضييع الوقت في تعلم حيل المهنة.

٧- كون صداقات جديدة مع الحفاظ على الاصدقاء القدامى.

٨- تعلم صيانة الأسرار والحفاظ عليها.

٩- تعلم هوايات جديدة ومفيدة.

١٠- كن شجاعاً، وإن لم تكن كذلك فتظاهر بها، فلن يلاحظ أحد الفرق.

١١- فاجيء الآخرين ببعض الهدايا غير المتوقعة، وخاصة المؤلفة قلوبهم. (الهدية سنة نبوية، ومظهر حب، ومبعث أنس، تُقربُ البعيد، وتصل المقطوع، وتشق طريق الدعوة إلى النفوس، وتفتح مغاليق القلوب، وتبذر المحبة بين الناس، وقد

حرص النبي ﷺ على تشريع كل ما من شأنه أن يؤلف القلوب، حيث قال: (تَهَادُوا تَحَابُّوا) (رواه البخاري).

١٢- تعلم كيف تتحكم في غضبك لأقصى درجة ممكنة. (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال: لا تغضب. فردد ذلك مراراً، قال: لا تغضب) (رواه البخاري).

١٣- حاول الاستفادة من المواقف السيئة والتعلم منها. (لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين) (أخرجه الشيخان).

١٤- استمتع بالأشياء البسيطة، مع التفكير في الأهداف العظيمة.

١٥- اختر شريكة حياتك بحرص؛ فهذا القرار سيشكل (٩٠٪) من سعادتك أو بؤسك. قال النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لملها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه ابو داوود).

١٦- كنّ دائماً ايجابياً، وامنح الأمل للآخرين وتجنب حرمانهم منه.

١٧- عامل الناس بلطف ولكن لا تسمح لأحدٍ استغلال لطفك، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ (آل عمران ١٥٩).

١٨- إعط الآخريين أكثر مما يتوقعونه.

١٩- لا تُضع أي فرصة واستثمرها لحظة مجيئها، وإذا  
هبّت رياحك فأغتنمها، وقد قيل حين تدق الفرصة على بابك  
أدعها للميت.

٢٠- سافر وشاهد أماكن مختلفة وجديدة، تكتسب علوماً  
ومعارف، تزيد من مخزونك الثقافي.

٢١- لا تقرب من المناطق سيئة السمعة؛ لتجنب  
الأحداث السيئة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْطَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً  
وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الآسراء ٣٢).

٢٢- ادخر (١٠٪) على الأقل من دخلك الشهري،  
لمواجهة ما يمكن أن يستجد.

٢٣- احذر من عروض البنوك مهما كانت مغرية.

٢٤- حافظ على سمعتك؛ لأنها أعلى ما يملكه الإنسان.

٢٥- اهدِ حماتك ورداً في عيد ميلاد زوجتك.

٢٦- حوّل الأعداء إلى أصدقاء من خلال القيام بعمل جميل  
لهم. ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤).

٢٧- تعلّم الأشياء المميزة الموجودة في الآخرين، فكل إنسانٍ عنده ما يميز به عن غيره.

٢٨- ارض بالوجود حالياً، مع العمل لامتلاك الأفضل، فالقناعة كنز لا يفنى.

٢٩- لا تشارك الشخص الذي فشل أكثر من مرتين.

٣٠- توكل على الله ولكن أغلق بابك جيداً، (قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله أترك ناقتي وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال: (بل اعقلها وتوكل) (رواه الترمذي).

٣١- ابتسم بشكل دائم بوجه من تعرف ومن لا تعرف، وتجنب العبوس. (رسولنا ﷺ هو أعظم الناس قدراً، وأعلامهم شرفاً، وأشرحهم صدرأً، وكان يملك قلوب أصحابه بوجهه البسّام، وابتسامته المشرقة، وكلماته الطيبة، وقال: تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) (رواه الترمذي).

٣٢- تعلم فنّ الإنصات، وكيف تستمع جيداً، فالفرص الخفية تحتاج لأذن قوية .

٣٣- اظهر مزيداً من الإحترام والتوقير خاصةً للمعلمين.

٣٤- اعترف بأخطائك ولا تتجاهلها، فالاعتراف بالخطأ رجولة وفضيلةٌ.

٣٥- عوّد نفسك على معانقة أطفالك مستقبلاً بعد

- الإنتهاء من معاقبتهم.
- ٣٦- اعمل واسعاً للتمييز وتحمل عواقبه، فكل ناجح لا بد أن يدفع ضريبة الحسد.
- ٣٧- ابن علاقاتك مع الآخرين بعد تجربتهم؛ من خلال موافقهم العملية التي تؤدي الى الثقة.
- ٣٨- لا تقارن نفسك بمن هو اغنى منك؛ سواء مع الأقارب أو الجيران، بل بمن هو مثلك او اقل، ذلك ادعى لشكر النعمة.
- ٣٩- لا تتعود الاهتمام بشراء الأشياء لأنها مرتفعة الثمن، بل اشترِ الأجود ولو غلا ثمنه .
- ٤٠- تجاهل النقد السلبي، ولا ترد على المتقدين، ولكن استفد من نقدهم .
- ٤١- تجنب إتخاذ أي قرار مهما صغر أو كبر أثناء فورة الغضب.
- ٤٢- لا تستعمل بطاقات الإئتمان للشراء بالتقسيط.
- ٤٣- ادفع أجر العمل بعد إنجازه وليس قبل ذلك. (قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).
- ٤٤- حافظ على وعودك والوفاء بها، فالثقة تتولد من

تراكم الوفاء بالأمر البسيطة، قال رسولنا ﷺ: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)(رواه احمد).

٤٥- إظهار دائماً إيجابياً متحمساً ومبتهجاً وفي كل المناسبات، وكن قدوة لغيرك في ذلك.

٤٧- تجنّب الحسد لأنه يؤدي إلى التعاسة. (لله در الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله) .

٤٨- بادر بالعمل على تنفيذ الأفكار الجديدة، ولا تحش

الفضل.

٤٩- احسم في اتخاذ قراراتك وإبداء الآراء، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران ١٥٩).

٥٠- شجع أبناءك على العمل في أوقات فراغهم.

٥١- حدد أهدافك وسلوكياتك لوحدك لأنك الأعرف

بما تريد.

٥٢- لا تتردد في تقديم المساعدة لكل من يحتاجها،

فالخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

٥٣- تبديل كلمة مشكلة إلى كلمة فرصة. حاول دائماً.

٥٤- تحلّ باللباقة وعدم مضايقة الآخرين عمداً.

٥٥- لا تزعج الناس بمشكلاتك الشخصية، فكلّ عنده ما يكفيه.

٥٦- تقبّل الإحباطات وآلامها وإبتعد عن الشعور باليأس.

٥٧- تعوّد الاختلاف مع الآخرين بدون إهانتهم أو كرههم، وركز على إظهار ودّك لهم عند اللقاء.

٥٨- لا تتخلّ عن الأفكار المبدعة بسبب آراء الناس فيها.

٥٩- التزم الصمت في الوقت المناسب. (عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه) (رواه البخاري ومسلم).

٦٠- استمع لكل الأطراف قبل إطلاق الحكم على أحد منهم.

٦١- تعلّم حُسن إدارة الوقت وعدم تضييعه.

٦٢- إبتعد عن مفهوم ربط المال بالسعادة، فهذا اعتقاد خاطئ.

٦٣- تجنّب التفكير بالفشل بعد أخذك بكل الأسباب ثم اسع لتحقيق أهدافك.

٦٤- أظهر المحبة للأسرة، سواء بالكلمات أو المعاملة الطيبة. (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك) (رواه أحمد ومسلم).

٦٥- لا تصدق كل ما تسمع، ولا تنفق كل ما تملك، ولا تنم قدر ما ترغب.

٦٦- لا تحش العقبات الكبيرة فخلفها تقع الفرص العظيمة.

٦٧- احكم على نجاحك من خلال قدرتك على العطاء وليس الأخذ.

٦٨- لا تتجاهل الشيطان مهما بدل ثيابه.

٦٩- اقض مع أطفالك ضعف وقتك المعتاد وامنحهم نصف المال المعتاد.

٧٠- لا تهدم ما لم تملك القدرة على التنفيذ.

٧١- تعلم الاسعافات الأولية، فجميعنا يمر بظرف ربا يندم فيه.

٧٢- حين يسألك أحدهم سؤالاً لا تحبه، ابتسم وقل «ولماذا تريد أن تعرف»؟.

٧٣- إجهد أن لا تفقد أعصابك، أو ثقتك بنفسك، أو مفاتيح سيارتك.

٧٤- فاجئ صديقاً قديماً بإتصال هاتفي مباغت.

٧٥- لا تتصيد عشرات الآخرين، وركّز على إصلاح نواقصك.

٧٦- لا تمارس على الآخرين دور المعلم، بل استمع واشعر الآخر أن ما يقوله كأنه جديد عليك.

٧٧- عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

٧٨- أنطلق في تعاملك مع الآخر على أنك جزءٌ من كُـلِّ في منظومة الحياة، وأنكما مكملان لبعضكما، ففاعلية يديك تكمن باختلافهما وتقابلهما.

٧٩. تذكر دائماً أن زوجتك أو زوجك وجه مقابل لك وليس مطابقاً كاليدين، وأن أبنتك ليس أنت وزمانه ليس زمانك .

٨٠. وإعلم يا بُني بأن كثرة الضوابط والمحددات تبطئ أو تعيق حركة الإنسان، إن لم تشله، فلا بد من بعض الهوامش لمزيد من الحرية.

## علموهم...

علموهم أول ما تعلمونهم كيف يتسمون؟ فما الدين بجهامة، ولا هو بنكد، بل أنزله الله ليكون إسعاداً للبشر، وسكينةً للقلوب، وطمأنينةً للنفوس؛ فجعل الابتسامة عبادةً يثاب عليها المسلم، قال ﷺ «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة» (رواه الترمذي). وبهذا، فإنَّ من خالف ذلك فتجهمَّ وجهه، وتمعَّر لونه، واكفهرت قسامته فهو مخالفٌ لدينه..!، لذا علموهم هذا؛ لنرى الوجوه مُشرقة، زاهية، مُستبشرة لا في آخرتها فحسب، بل وفي دنياها أيضاً.

علموهم أنَّ جوهرَ العبادة في القلب؛ فهو المضغعة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، كما جاء في الحديث الشريف حيث قال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (أخرجه البخاري)، وأنَّ التقوى فيه، لقوله ﷺ: «التقوى ها هنا ويُشير إلى صدره ثلاث مرات»، والتقوى أصلها في القلب، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج ٣٢).

فإن برئ من أمراض القلوب كالحسد والرياء والحقْد سلم، وصفا للناس؛ فبارك الله في صنيعه.

علّموهم أن المسجد ليس وحده مكان العبادة، بل الأرض بأسرها، بعد أن توسّعوا مداركهم في معنى العبادة، لتشمل العمل في المختبر العلمي حيث يقضي فيه الإنسان مُنكباً على التجارب الطبية، والمكتبة حيث يبحث الدارس عن المعلومة العلمية، وفي السياحة حيث يتعبّد السائح ربه وهو ينظر إلى جمال صنيعه، ويتفكّر في أحوال خلقه، وفي المكتب حيث يُخلص في إنهاء مصالح الناس، وفي الشارع حيث يُحافظ على النظام، وفي السوق حيث يُوزن الناس بالقسط، وفي الناقله حيث يُقل الناس من مكانٍ لآخر، وفي التطوع حيث يمدّ يديه لمساعدة المحتاجين، وعلى مقاعد الدراسة حيث يُعد نفسه لبناء أمة.

علّموهم أنّ العبادة يمكن أن تكون في كل ميدانٍ، وفي كل عملٍ غايته شريفة بنية خالصة لله تعالى « فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» (رواه البخاري ومسلم).  
(والسلامى هي مفاصل الأصابع التي كلما تحركت، تحرك معها عداد الحسنات...!)، ما أعظمك يا إلهي !.

علموهم معنى التخلية قبل التحلية؛ أي أن الإنسان يجب عليه أن يُحَلِّي نفسه أولاً من الشر قبل أن يُحَلِّيها بالخير، وقولوا لهم: ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (النجم ٣٢) فمدح النفس ظلم لها وإفساد لفطرتها، وارتكاس لعملها، فما أثقل كلام من يُزَكِّي نفسه على الله ، بالنظر إلى غيره بأنه قد غوى وضلّ، وأنه هو الذي اهتدى سواء السبيل...!، نسب إلى نفسه الفضائل، وإلى غيره الرذائل...! فوقع في الجهل المضل، والغرور المخل...!

علموهم أن الله رحمات تنزل ليل نهار، تغشى الكون، لتجيب السائلين، وتحمي الغافلين، وتشفي المعتلين، وتهدى الضالين، وليس عذابات تُمطر الحجارات الحارقة، وتثير البراكين الخامدة، وتوقظ الزلازل الراكدة.

علموهم أن الله هو الحسيب على خلقه؛ ولم يجعلكم أوصياء على عباده، تحاسبونهم على خطاياهم، قال تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٢)، فلا تُنصِّبوا أنفسكم محاسبين لغيركم، أنسيتم إصلاح أنفسكم؟؛ بعد أن غرّكم إيمانكم، فإذا أنتم تكدحون وربما تُكفرون...!، فذلك ظلم للعباد، وتدخل في شأن رب العالمين...!

علّموهم بأن المسلم الحقيقي صالحٌ مصلحٌ، يفعل الخير لكل الناس، لا يوزع جنةً ولا ناراً، ولكنه يحبُّ الخير لكل الناس، ولا يرجو من ذلك إلاّ رحمة ربه . ويعلم علم اليقين أنّ كل ابن آدم خطاءٌ وهو غيرٌ مستثنى من ذلك . بل يتذكر ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ: أنّ المسيح عليه السلام قال: «لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله؛ فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيدٌ عن الله، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، بل انظروا فيها كأنكم عبيد، وإنّما الناس رجالان: معافي، ومبتلى؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

علّموهم كيف يتعامل المسلم مع المخطئين حسب القاعدة الإسلامية العظيمة: ( نكرهُ الذنبَ ولا نكرهُ المذنبَ ) فيبين له أنّ باب التوبة هو أوسع الأبواب عند الله تبارك وتعالى، لذلك ندعوه للإقلاع عن فعله المحرّم، ثم التوبة، فإن تاب فذلك فضلٌ من الله، وإنّ كان غير ذلك فالله وحده هو الذي يُعاقب أو يعفو، ولكن علينا نحنُ كأفراد أن نتعامل معه بكل لطف؛ لنعيّنه على الشيطان، ونشعره بحبنا له، ندلّه على الخير بأحسن العبارات وألطفها، حتى يعلم أنّ رسولنا العظيم يقول: « كل ابن آدم خطاءٌ، وخير الخطائين التوابون ». (رواه الترمذي)، فالخطأ؛ بشكل أو بآخر، سمّةٌ بشريةٌ عامة لا تخصه وحده فإذا تاب أصبح في المقدمة ومن الخيرة، ليس

هذا فحسب، فالله تبارك وتعالى يقول في القرآن العظيم :  
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا  
اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ  
جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَمَّ آجُرُ الْعَمَلِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٥ - ١٣٦).

بل إذا قبلت توبته وأحسن العمل، فإن كرم الله عليه عظيم  
﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (الفرقان ٧٠).  
نعم علّموهم، أننا لا نكره شخصاً لذاته، بغض النظر عن لونه  
أو عرقه، أو فكره أو معتقده، حتى لو وقع في الخطأ؛ بل نُشفق عليه  
وندله على الصحيح لمصلحته ولا نسيء التعامل معه ولا نُوصمه،  
فهو ابن آدم، خطأً مثلنا، كما بين الرسول الكريم ﷺ، وحسابه ليس  
علينا؛ إنما حسابه في النهاية على الله وحده.

علّموهم أن ما سبق يخص الشخص بذاته كإنسان، له  
علينا حق النصح والإرشاد بالحسنى، ودون تجريم أو تعنيف،  
ولكن الفعل نفسه (الخطأ) ليس له هذا الحق، خاصة أنه مصادمٌ  
لكل الأوامر السماوية وللفطرة السليمة، ولن يقبل به عاقل؛ لذلك  
فالوصمة للفعل المحرم في كل آن وحين، وهذا ثابت لا يتغير،  
فالحرّم حرامٌ مهما زُين، والحلال حلالٌ مهما سُوه. أمّا الفاعل، فهو

ابن آدم الخطاء، أمامه كل الفرص للتوبة، وإحسان العمل والفوز بالجنة، ولتذكر قصة عبد الله الملقب بالحمار، حيث كان يشرب الخمر، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل، وقال: ما أكثر ما يُؤتى به إلى رسول الله ﷺ وسلم فقال النبي ﷺ: «لا تلعه، فإنه يُحبُّ الله ورسوله» (رواه صحيح البخاري) وزاد في رواية أخرى في آخره: «ولكن قولوا اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، مع أنه ﷺ لعن الخمر، وشاربها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه.

علموهم أن أبا الدرداء رضي الله عنه، مرَّ برجل قد أصاب ذنباً (الذنب: الإثم والجُرم والمعصية) والناس يسبونه.... فقال أبو الدرداء: رأيتم لو وجدتموه في قليب (بئر) ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أحاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: أنا أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي، أخرج ابن عساكر. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا رأيتم أحاكم قارف (ارتكب) ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.... تقولوا.... اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإننا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحدٍ شيئاً حتى نعلم علام يموت، فإن خُتِم له بخير علمنا أنه أصاب خيراً، وإن خُتِم له بشرٌ خفنا عليه (أخرج ابن عساكر في الكنز).

علموهم أن الكره للفعل ولن يستطيع أحد تغيير حكم الله وأمره في ذلك أمّا الفاعل فحقه علينا ما يلي:

أ- نسأل الله له العافية والهداية، (وإن كنا نبغض فعله)، ونحمد الله الذي عافانا مما أبْتلي به .

ب- عدم التسرع في الحكم عليه بأنّ مآله إلى النار، فلربما ختم الله له بخاتمة حسنة.

ج- نتذكر أنّ العاصي مُبْتلى، ويحتاج لمن يُخرجه من هذا البلاء، فلا نكون أعواناً للشيطان عليه، ولندعوه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

د- عدم الشماتة به أو بغيره من العصاة، لأن رسولنا الكريم ﷺ يقول «لا تُظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك» (أخرجه الترمذي).

علموهم أنّ الله هو ربُّ الكافر كما هو ربُّ المؤمن، فكما أنشأكم على دينه، فقد هدى من شاء من عُصاته فأدخلهم في مرضاته، بل ولربما رفع بعضهم فوقكم درجات، وهو قادرٌ على هداية أهل الأرض جميعاً.

علموهم أنّ الله كما هو «رحيم» بالمؤمنين فهو «رحمن»؛ أي أنه ذو رحمةٍ شاملةٍ لجميع الناس حتى لمن عصاه..!، وأنّ رحمته وسعت كل شيءٍ، وسبقت غضبه، وهي مسيرةٌ وفق أمره.

علموهم أن كلمة الحق لا تقع في طرف السيف فقط، ولا في فوهة البندقية، ولا في زرّ الحزام الناسف، إنما في سلامة الصدر، وحسن المعاملة، ولطف القول، وبشاشة الوجه، وتهذيب اللسان؛ ذلك لأنّ كلمة الله نسمة من روحه، فإن بعث الله بها رسولاً، أمره بحسن أدائها؛ ليس توقيراً للمدعو، فهو يعلم تكبره، بل توقيراً للمرسل العظيم المتعال ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه ٤٣-٤٤).

علموهم أن يدعوا لأنفسهم بالصلاح والإصلاح، والهداية، والطمأنينة، ويتركوا عنهم الدعاء ضد غيرهم، دعاء «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تُبق منهم أحداً، وأرنا فيهم عجائب قدرتك، وسلّط عليهم الزلازل والبراكين، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، واجعل كيدهم في نحورهم... إلخ»؛ فليس هذا ما تعلمناه من نبينا العظيم -عليه أفضل الصلاة والسلام- وهو يمسحُ دمه في غزوة أُحدٍ، وقد أصيبت رباعيته (سنة الشريفة)، وشجَّ وجهه الكريم، فلم يدعُ على المشركين وإنما دعا الله بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون...!»، أو ليس هذا امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَوَسَّأَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام ١٠٧).

علموهم بأنَّ الطالب إن لم يفهم درسه، فقد لا يكون  
لعيب فيه، وإنما لعيب في المعلم، وكذلك على المسلم في تبليغ  
دعوته للناس أن يتحمَّل مسؤولية أداء رسالته بأمانة وإخلاصٍ  
ووضوح، قبل أن يقا تلهم، أو يتهمهم أو يدعو عليهم، ﴿وَصَدَّهَا  
مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل ٤٣).

علموهم أنَّ الدين جوهر قبل أن يكون مظهرًا؛ فالجوهر  
هو حُسن الإيمان بإخلاص النية، وسلامة القلب، أما الاعتناء  
بالمظهر دون الجوهر فهو الرياء المشؤوم، والنفاق المذموم.

علموهم أنَّ من يتخطى رقاب الناس ليصل إلى الصفوف  
الأولى في الصلاة، وسيارته خارج المسجد تُعيق المارَّة، وتسُدُّ  
الطريق أنَّ ذنبه ربما أعظم من أجره!.

علموهم أن تتسع صدورهم لخلق الله، وأن يجعلوا  
التسامح خلقًا، واللفظ ديدنًا، والرفق منهجًا؛ فصاحبُ الخُلُق  
قد رُفِعَ بخُلُقِهِ إلى منازل عُلِيَا «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ  
درجةَ قائمِ الليلِ صائمِ النهارِ» (رواه أبو داود وأحمد).

علموهم أنَّهم ليسوا في مقام الحُكْمِ على الناس بسبب  
مظاهرهم، أو حالتهم الاجتماعية؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه  
قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعثٍ أغبرٍ مدفوعٍ بالأبواب، لو  
أقسم على الله لأبره» (رواه مسلم)، وأنَّ الحُكْمَ على الناس يفتح

باب الاستعلاء، والتفضيل، وهو ما يقود إلى البطر والغرور!.  
 علّموهم أن يروا في الحياة إشراقة التفاؤل، لا قتامة  
 التشاؤم، وأن يروا في الناس يسر الجانب، لا بؤس المآل، علّموهم  
 أن لا يُنكروا على من أعطاه الله مالاً حلالاً، وتمتع به بما يُرضي الله  
 تبارك وتعالى، فالله يُوصينا بالتمتع بالطيبات من الرزق:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ  
 مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف ٣٢). علّموهم أن للجنة ألف طريق  
 وطريق، وليس طريقاً واحداً؛ فكلُّ عمل صالح هو طريقٌ  
 لأبوابها، والحياة ملأى بما يوصلهم للجنة، وأنَّ للخير ضرباً  
 وأصنافاً؛ أعظمها ما نفع العباد، وأسهم في تقدم البلاد.

علّموهم مبدأ العدل حتى مع الأعداء، ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ  
 شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا  
 اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ٨).

. فلا «يجورون» في الحُكم، ولا «يفجرون» في الخصومة،  
 ولا «يثخنون» في العداوة!.

علّموهم قصة أسرع محاكمة وأعظم مشهد في التاريخ،  
 في فتح سمرقند، حيث نادى الغلام: «ياقتيبة» (قائد الجيوش

الإسلامية)، هكذا بلا لقب فجاء قتيبة وجلس هو وكبير الكهنة أمام القاضي، ثم قال القاضي: ما دعواك يا سمرقندي؟، قال: اجتاحتنا قتيبة بجيشه ولم يدعنا إلى الإسلام، ويمهلنا حتى ننظر في أمرنا، التفت القاضي إلى قتيبة وقال: وما تقول في هذا يا قتيبة؟ قال قتيبة: الحرب خدعة وهذا بلد عظيم، وكل البلدان من حوله كانوا يقاومون، ولم يدخلوا الإسلام ولم يقبلوا بالجزية، قال القاضي: يا قتيبة هل دعوتهم للإسلام أو الجزية أو الحرب؟، قال قتيبة: لا إنما باغتناهم لما ذكرتُ لك، قال القاضي: أراك قد أقررت، وإذا أقر المدعى عليه انتهت المحاكمة.

يا قتيبة ما نصر الله هذه الأمة إلا بالدين، واجتتاب الغدر وإقامة العدل، ثم قال: قضينا بإخراج جميع المسلمين من أرض سمرقند من حكام وجيوش ورجال وأطفال ونساء، وأن تُترك الدكاكين والدور، وأن لا يبقى في سمرقند أحدٌ، على أن يندرهم المسلمون بعد ذلك، لم يُصدّق الكهنة ما شاهده وسمعوه، فلا شهود ولا أدلة، ولم تدم المحاكمة إلا دقائق معدودة، ولم يشعورا إلاً والقاضي والغلام وقتيبة ينصرفون أمامهم، وبعد ساعاتٍ قليلة، سمع أهل سمرقند جلبة تعلو، وأصواتاً ترتفع وغباراً يعم الجنبات، ورايات تلوح خلال الغبار، فسألوا فقيلاً لهم: إن الحكم قد نُفِّذَ، وأن الجيش قد انسحب، في مشهدٍ تقشعرُّ منه جلود الذين

شاهدوه أو سمعوا به .

وما إن غربت شمسُ ذلك اليوم، إلا والكلاب تتجول بطرق سمرقند الخالية، وصوتُ بكاءٍ يُسمع في كل بيتٍ على خروج تلك الأمة العادلة الرحيمة من بلدهم، ولم يتمالك الكهنة وأهل سمرقند أنفسهم لساعات أكثر؛ حتى خرجوا أفواجا، وكبير الكهنة أمامهم باتجاه معسكر المسلمين، وهم يرددون شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله .

علّموهم أن الحياة في سبيل الله قبل الموت في سبيله؛ فليس الموت في سبيله بأعظم أجراً من الحياة في سبيله، علّموهم كيف يسعدون ويُسعدون في دنياهم، لا أن يشقوا ويُشقوا غيرهم فيها، يقول الشيخ مُحَمَّد الغزالي رحمه الله: «أريد أن أفهم أبناء جماعة المسلمين أن الحياة في سبيل الله كالموت في سبيل الله» .

علّموهم كلَّ ذلك وأكثر من لطائف ديننا وعدله ورحمات ربنا.. لينشأوا على محبة الله، وقد طهرت أنفسهم وزكت، فعطرت الدنيا بشذاهها، وأضاء على الخلق سناها، فكانت خير من يُمثل دينها، وينهضُ بأمتهها.... عندها، وعندها فقط، سنقود العالم إلى خيري الدنيا والآخرة المقال عنواناً وفكرة للكاتب العُماني الدكتور صالح الفهدي، ومن شدة إعجابي بالفكرة؛ وتعميماً لجوهرها؛ أضفت إليها افكاراً متممة لها، والحقته بهذا الكتاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ